المدجنون في بلنسية دراسة في احوالهم العامة (٦٣٦-٩٣٢هـ/١٢٣٨-١٥٢٥م)

أ . م د. محمد عبدالله المعموري

جامعة بابل/ كلية التربية للعلوم الانسانية

ملخص البحث

المدجنون مصطلح اطلق على المسلمين الذين اثروا البقاء في المدن الاندلسية التي سقطت بيد ممالك الشمال الاسباني بعد قيام حروب الاسترداد المسيحية، ومن الجدير بالذكر أن مصطلح المدجن ينطوي على نوع من الخضوع اذ ان كلمة الدجن تستعمل للإشارة الى الحيوانات الداجنة، وقد عمل المسلمون المدجنون في الاراضي الزراعية التي استولى عليها النبلاء الاسبان بعد اخضاعهم للمدن الاسلامية في الاندلس لخبرتهم في هذا المجال، وقد عملت السلطات المسيحية على اتباع اساليب اللين والتسامح مع هذا المكون لأهميته الاقتصادية، فاستطاع المسلمون المدجنون الحفاظ على عقيدتهم ولغتهم وعاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية في ظل المجتمع المسيحي لأكثر من قرنين ونصف حتى صدور قرار التنصير في سنة ٩٣٢هـ/١٢٥٢م لذلك جاءت هذه الدراسة لتسليط الضوء على الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية لهذا المكون.

الكلمات المفتاحية : المدجنون – الحياة السياسية – الحياة الاجتماعية – الحياة الاقتصادية

Abstrect

The Mudéjares in Valencia is a word refers to the Muslims who opted to stay in the Andalusian cities that fell to the northern Spanish kingdoms after the Christian Reconquista. It is notable that Mudéjares term involves a submission, the word Mudéjar means "domestic" which used to refer to the domesticated animals. The Mudéjares Muslims were working in farm lands that seized by Spanish nobles after they had taken the Muslims cities in Andalusia for their experience in farming. The Christian authorities were treated them with leniency and tolerance for their economic importance, so the Mudéjares Muslims were able to maintain their religion, language and social traditions under the Christian society for more than two and a half centuries until the issuing of the of the resolution of Christianization in 932 AH/1252 AD, so this study was carried to shed light on the political, economic and social situations of this component.

المقدمة

بعد قيام حرب الاسترداد المسيحية في اسبانيا في منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي وتمكن ممالك الشمال الاسباني وفي مقدمتها قشتاله من السيطرة على بعض المناطق الاسلامية ومنها طليطلة في سنة (٤٧٨هـ/١٠٨٥) اصبح هنالك مسلمون يعيشون في كنف الممالك المسيحية اطلق على هؤلاء المسلمين تسمية المدجنون وقد زاد عدد هؤلاء المدجنون بسقوط العديد من المدن الإسلامية بيد ممالك الشمال الاسباني لاسيما بعد استيلاء خايمي الاول ملك ارغون على مدينة بلنسية سنة (٦٣٦هـ/١٢٣٨م)، وقد تمتع المدجنون في بلنسية بحقوق وامتيازات سمحت لهم بالاستمرار في اداء واجباتهم الدينية الاسلامية وممارسة عاداتهم وتقاليدهم العربية، ولم تكن الامتيازات الممنوحة للمدجنين في بلنسية تتم عن حالة من التسامح الديني اتبعتها السلطات المسيحية في المناطق المفتوحة وانما كانت استجابة لضرورات اقتصادية اذ كان المسلمون المدجنون في بلنسية يمثلون الاكثرية المستأجرة في اراضي النبلاء لما يمتازون به من خبرة في المجال الزراعي فضلاً كونهم ايدي عاملة رخيصة، لذلك وقف النبلاء بوجه

تطلعات الكنيسة المسيحية التي كانت ترمي الى تنصيرهم لأن اي مضايقة للمسلمين في المدينة المذكورة سينعكس بشكل سلبي على مصالحهم الاقتصادية.

استمر مصطلح (المدجنون) شائع الاستعمال في مدينة بلنسية للإشارة الى المسلمين المتواجدين فيها ولم يتغير إلا في سنة (٩٣٢هـ/١٥٢٥م) عندما اصدر الملك شارل الاول قراراً يقضي بتنصير جميع المسلمين في بلنسية ليحل محل مصطلح (المدجنون) مصطلح أخر هو الموريسكيون أي المسيحيون الجدد، ومن الجدير بالذكر أن مصطلح المدجن ينطوي على نوع من الخضوع اذ ان كلمة الدجن تستعمل للأشارة الى الحيوانات الاليفة والطيور الداجنة.

يعد موضوع المسلمين المدجنين في بلنسية من المواضيع التاريخية المهمة التي لم تحظ بعناية الباحثين والسبب في ذلك يعود الى قلة المعلومات التاريخية عن الاحوال العامة للمدجنين خلال هذه المرحلة والتي يمكن ان نعزوها الى ان المدجنين خلال هذه المرحلة تقبلوا التعايش السلمي مع الاخر، طالما أن الاخر لم يتعرض الى خصوصياتهم ولذلك فان مشاركتهم في الحياة العامة في مملكة ارغون اقتصرت على الجانب الاقتصادي وبعض المواقف السياسية تجاه السلطة الحاكمة لا سيما اذ ما علمنا أن اغلب المدجنين في بلنسية كانوا مزارعين من الطراز الاول وكانوا عماد الاقتصاد البلنسي خلال هذه المرحلة، فضلاً عن ذلك فان المدجنين في بلنسية عاشوا في مجتمعات خاصة منعزلة لذلك لم يسلط عليهم الضوء من قبل المؤرخين الاسبان أما المؤرخون العرب فقد اقتفوا اثر الفقهاء المسلمين بالنظر للمدجنين على انهم متخاذلين لأن الشرع الاسلامي لا يجيز لهم البقاء في دار الكفر وبذلك كانوا خارج أهتمامات هؤلاء المؤرخين.

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه الى مقدمة ومبحثين تناول المبحث الاوضاع السياسية للمسلمين المدجنين في بلنسية تحت السيادة المسيحية لمملكة ارغون من سنة (٦٣٦هـ/١٢٣٨م) وحتى صدور قرار التنصير الاجباري للمدجنين في المدينة المذكورة سنة (٩٣٢هـ/١٥٢٥م) اذ تطرق المبحث وبالتفصيل الى الموقع الجغرافي لمدينة بلنسية والكيفية التي سقطت بها بيد خايمي الاول ملك ارغون فضلاً عن تناوله للمعاملة التي تلقاها المسلمين في المدينة المذكورة بعد خضوعها للسيادة المسيحية اذ استطاع المسلمين المدجنين الحفاظ على دينهم وعاداتهم وتقاليدهم لقرابة ثلاث قرون ثم تطرق المبحث بعد ذلك الى اوضاع المسلمين في بلنسية بعد صدور قرار التنصير والاساليب التي تم اتباعها للحفاظ على الديانة الاسلامية لأن بموجب قرار التنصير اصبح المسلمون مسيحيين من وجهة نظر السلطة الحاكمة،الا أنهم استمروا بممارسة الاسلام بشكل سري حتى طردهم من بلنسية.

اما المبحث الثاني فقد تناول دراسة الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية للمدجنين، اذ قسم هذا المبحث الى محورين تناول المحور الاول دراسة الاوضاع الاجتماعية للمدجنين من حيث اللغة والاحتفالات وانواع الاطعمة والأشربة التي كانوا يتناولونها فضلاً عن الازياء والحمامات وقد اعتمدنا في هذا المبحث على بعض النصوص التي تعود الى مرحلة ما بعد التنصير والتي اوضحت بشكل لا يقبل الشك بان المدجنين في بلنسية كانوا اوفياء لموروثهم الفكري الاسلامي اذ كانوا شديدي التمسك بدينهم ولغتهم وعاداتهم وتقاليدهم الاسلامية.

اما المحور المتعلق بالحياة الاقتصادية فقد تناول دراسة مشاركة المدجنون في بلنسية في الحياة الاقتصادية ولاسيما الزراعة والصناعة والتجارة، وقد برز المدجنين بالجانب الزراعي فهم مزارعون من الطراز الاول وهذا ما يفسر لنا تمسك السلطات المسيحية بهم لأكثر من ثلاث قرون.

واجهت الدراسة العديد من الصعوبات لعل أكثرها اهمية هو قلة النصوص التاريخية المتاحة امام الباحث لا سيما تلك النصوص المتعلقة بالأحوال العامة للمدجنين في بلنسية ولتذليل هذه المعضلة اضطررنا في بعض الاحيان الى استخدام بعض النصوص التاريخية المتأخرة نسبياً عن مدة الدراسة لاسيما اذ ما علمنا ان هذه النصوص قد كشفت اللثام عن بعض الممارسات الدينية والعادات والتقاليد الاجتماعية الخاصة بمسلمي بلنسية في ظل السيادة المسيحية والتي لم يتم التطرق لها من قبل المؤرخين الاسبان في مرحلة الدجن لأنها لاتعد من الضروريات في ظل التسامح الديني مع المسلمين في تلك المرحلة اما بعد صدور قرار التنصير فاصبح الحديث عن الطقوس الدينية والعادات والتقاليد الاجتماعية للمسلمين في بلنسية الشغل الشاغل لرجال الدين الاسبان لأن ذلك علامة على تمسكهم بالدين الاسلامي وعدم قبولهم للتنصير الامر الذي كان يعرضهم في كثير من الاحيان الى الملاحقة من قبل محاكم التفتيش الاسباني[١] التي اضطلعت بمهمة مطاردة المسلمين الرافضين للتنصير لإنزال اقصى العقوبات بحقهم.

وفي الختام ارجو ان تغطي هذه الدراسة النقص الواضح في المعلومات المتعلقة بأحوال المسلمين في بلنسية في مرحلة السيطرة المسيحية فان اصبت فهو القصد والمبتغى وان أخطأت فحسبي ان لي اجر المجتهد.

المبحث الأول: المدجنون في بلنسية.

أولاً: بلنسية التسمية والموقع الجغرافي.

بلنسية: بفتح الباء الموحدة وفتح اللام وسكون النون وكسر السين المهملة وفتح الياء المثناة من تحتها وبعدها هاء ساكنة[٢] مدينة شرقي الاندلس على بعد ثلاثة اميال عن ساحل البحر المتوسط الغربي[٣] وهي مدينة بحرية برية يحدها من الشمال طرطوشة ومن الجنوب دانية ومرسية ومن الغرب طليطلة[٤] اسسها الرومان عام ١٣٨ق.م[٥] امتازت بكثر اشجارها وبساتينها لذلك اطلق عليها الجغرافيون العرب اسم (بستان الاندلس)[٦] وسميت ايضا (مطيب الاندلس) والمطيب عند اهل الاندلس باقة من الورود والازهار والرياحين[٧] تغنى المؤرخون والجغرافيون والشعراء بجمال بلنسية وفضائلها، فالعذري[٨] يصف المدينة بانها ((اطيب البلاد واحسنها هواء واجملها بساتين ولها خطة فسيحة، وهي بلدة منيعة، جمعت البر والبحر والزرع والضرع والفواكه)) ويضيف ((وقد اطبعت مدينة بلنسية بقلة الهم، لاتكاد ترى فيها احدا من جميع الطبقات الا وهو قليل الهم، فقد استعمل اكثر تجارها لانفسهم اسباب الراحات والفرح)) اما الادريسي[٩] فيصفها ((قاعدة من قواعد الاندلس في مستوى الارض، عامرة كثيرة التجار والعمار، وبها اسواق وتجارات وحط وقلاع،... وهي على نهر جار ينتفع به ويسقي المزارع وعليه بساتين وجنات وعمارات)) واخير يفيض ابن سعيد الأندلسي[١٠] بوصف محاسن المدينة حين قال ((مطيب الاندلس، ومطمح الاعين والانفس، ، قد خصها الله باحسن مكان، وحفها بالانهار والجنان، فلا ترى الا مياها تتفرع، ولاتسمع الا اطيارا تسجع، ولا تنشق الا ازهارا تنفح... وجو صقيل ابدا، لاترى فيه مايكدر خاطرا ولابصرا، لان الجنات والانهار احدقت بها فلم يثر بارجائها تراب من سير الارجل وهبوب الرياح، فيكَّدر جوهًا، وهواهًا حسن لتمكنها من الاقليم الرابع، واخذها من كل حُسن بنصيب ولها البحر على القرب، والبر المتَّسع، وحيث خرجت من جهاتها لاتلقي الامنارة ومسارح، ومن ابدعها واشهرها الرَّصافة... وهي مدينة متمكنة الحضارة جليلة القدر)). وقد اثارت بلنسية قريحة الشعراء وتغنوا بجمال طبيعتها وروعة حدائقها ورياضها فقال فيها ابن الزقاق البلنسي[١١]

بـــلنسيةُ اذا فـكـــرْت فيها ... وفـــــي اياتها اسنى البلادِ

واعظم شـــــاهدي منها عليها ... بان جمالـــــها للعين بـادي

كســاها رَبـُّها ديباج حُسْنٍ ... ولها علمان من بحرٍ ووادي

اما علاقة المسلمين ببلنسية فلم تشر المصادر الاسلامية بشكل صريح الى العام الذي دخلت فيه هذه المدينة تحت السيطرة الاسلامية بعد فتح المسلمين للاندلس سنة (٩٢هـ/٧١٠م)[١٢] ويبدو انها فتحت في عهد الوالي عبدالعزيز بن موسى بن نصير الذي استولى على شرق الاندلس سنة (٩٥هـ/٧١٣م) بعد ان عقد معاهدة صلح مع حاكم البلاد المذكورة تدمير[١٣] لاسيما ا ذا ماعلمنا ان بلنسية عند الفتح العربي الاسلامي كانت مجرد فرضة صغيرة على البحر المتوسط تسمى فالنثيا (Valencia) ثم قام العرب بعد الفتح بتعريب هذا الاسم وصارت تعرف باسم بلنسية[١٤] وباتساع عملية الاستقرار العربي في الاندلس اصبحت مدينة بلنسية مأهولة بالسكان وقاعدة مهمة من قواعد الاندلس تتبعها مدن كثيرة منها شاطبة ودانية وجزيرة شقر[١٥].

بقيت مدينة بلنسية تابعه للدولة العربية الاسلامية في الاندلس الى سنة (٦٣٦هـ/١٢٣٥م) اذ خرجت هذه المدينة من السيطرة الاسلامية واصبحت تابعة للمملكة ارغون[١٦]

ثانياً: سقوط بلنسية وخضوعها لحكم الأرغونيين.

بعد التنافس الشديد بين مملكة ارغون ومملكة قشتاله على انتزاع الاندلس من المسلمين عقد الطرفان معاهدة عرفت بمعاهدة كاسولا سنة (٥٧٤هـ/١١٧٩م) نصت هذه المعاهدة على تعاون المملكتين ضد المسلمين كما نصت على تقسيم الاندلس بينهما، وبموجب هذه المعاهدة اصبحت بلنسية من ضمن حصة ملك ارغون الفونسو الثاني[١٧]

حاول بعد ذلك ملوك ارغون الاستيلاء على شرق الاندلس من الدولة الموحدية الا ان محاولتهم باءت بالفشل بسبب قوة الدولة المذكورة واستمرت مساعيهم بهذا الاتجاه الى ان تمكنوا من الاستيلاء على الجزائر الشرقية[١٨] سنة (٦٢٨هـ/١٢٣١م) في عهد الملك خايمي الاول (جاقمة)[١٩] الذي تفرغ فيما بعد لمهاجمة مدينة بلنسية بالتعاون مع حاكمها السابق السيد ابي زيد الموحدي[٢٠] الذي كان يرمي الى طرد ابي جميل زيان[٢١] منها، فوعده الملك خايمي الاول بتحقيق مطلبه وعقد معه حلفا بذلك وتعهد السيد ابو زيد من جانبه بان يتنازل الى ملك ارغون عن ربع الاراضي التي يستردها[٢٢] ادرك خايمي الاول ان فتح بلنسية لا يتم الا من خلال السيطرة على سائر القواعد الامامية لمدينة بلنسية، حتى يستطيع ان يعزل المدينة وان يحرمها من كل وسائل الدفاع، وكان ملك ارغون يرى ان ظروف بلنسية، ومواردها المحدودة ومايضطرم بين الزعماء المسلمين في شرق الاندلس من خلاف فرصة مؤاتيه للانقضاض على المدينة بشرط الاستعداد الجيد، لذلك اراد ان يصبغ حملته بالصبغة الصليبية[٢٣] فاستطاع الحصول على تاييد البابا جريجوري السابع الذي اعلن تاييده لمشروع افتتاح بلنسية واعلن ان الحرب في بلنسية هي حرب من اجل الصليب، واذاع ذلك في جميع دول اوربا[٢٤] قدمت على اثر ذلك جموع من المسيحيين من فرنسا وانكلتر لتشترك في هذه الحملة، واقسم خايمي الاول الا يعود الى مملكته اذا لم يتمكن من فتح بلنسية، وحذا حذو الملك الكثير من البارونات والفرسان وكان لذلك وقع حسن في الجيش كله[٢٥].

بدا خايمي بتنفيذ مشروع احتلال بلنسية في سنة (٦٣١هـ/١٢٣٣م) وكان اول اهدافه الاستيلاء على بلدة بريانه الواقعة على البحر في شمال مملكة بلنسية وكان خايمي يقود جيش يزيد على (١٢٠) الف مقاتل بين فارس وراجل، فضرب حصارا على البلدة، بعد ان خرب ضياعها وزروعها، وكانت بريانه تتمتع بحصانه فائقه، وقد استعد اهلها المسلمون للدفاع عنها، استمر الحصار لاكثر من شهر حتى استنفذ ما في البلد من موارد واقوات، فاضطر المسلمون في النهاية الى التسليم[٢٦] توجه خايمي بعد ذلك نحو قلعة بشتكلة الواقع في شمال بلنسية ايضا فدخل اهلها

في طاعته طوعا، ثم تلتها في الاستسلام العديد من الحصون والقرى المهمة في شمال بلنسية، استمر الملك خايمي الاول في فتوحاته هذه الى سنة (٦٣٣هـ/١٢٣٥م) عاد بعد ذلك الى بلاده ليعتني بشؤونه الداخلية[٢٧].

واستمر الحال كما هو عليه الى سنة (٦٣٥هـ/١٢٣٧م) وفي هذه السنة استانف خايمي الاول مشروع فتح بلنسية وكان همه في هذه الأثناء الاستيلاء على حصن انيتشه المنيع الواقع على مقربه من شمال بلنسية، على سبعة اميال منها، وهو من اهم حصونها الامامية، وكان يقع على ربوة عالية تزيد موقعه مناعة، ويشرف على المدينة بكاملها[٢٨] وكان خايمي يهدف من الاستيلاء على هذا الحصن هو مراقبة تحركات ابي جميل زيان داخل المدينة[٢٩] وكان ابن زيان يدرك اهمية هذا الحصن بالنسبة لمستقبل بلنسية وخطورة سقوطه في ايدي النصارى فامر بهدمه ولكن خايمي اصر مع ذلك على احتلاله، فسار بجيشه من قلعة ايوب ومعه السيد ابو زيد امير بلنسية المخلوع، وتمكن من السيطرة على الحصن على الرغم من المقاومة الكبيرة التي ابداها المسلمون، واتخذ من هذا الحصن قاعدة للعبث والاغارة على مختلف نواحي بلنسية[٣٠] ادرك ابو جميل زيان بان الحفاظ على سلامة بلنسية لا يتم الا من خلال السيطرة على هذا الحصن لذلك اخذ بالاستعداد لقيادة حملة عسكرية لاسترجاعه من يد الارغونين، سار ابو جميل بعد ذلك بقواته اتجاه حصن انيتشه وحدثت الموقعة الفاصلة بين الطرفين، قاتل فيها الفريقان بشجاعة وانتهت بان اصيب المسلمون بخسائر فادحة[٣١] وقتل منهم جملة كبيرة وكان بين القتلى عدد كبير من علماء بلنسية وصلحائها، وفي مقدمتهم كبير علماء الاندلس ابو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي، كان في موقعة انيتشه يتقدم الصفوف ويقاتل بشجاعة، ويحث المنهزمين على الثبات ويصيح فيهم (اعن الجنة تفرون) [٣٢] وقد كتب المؤرخ ابوعبدالله بن الابار القضاعي الذي كان يرافق زيان في موقعة انيتشه، مجموعة من الابيات الشعرية وهي ابيات رثاء لاستاذه ابو الربيع سليمان والعلماء الذين سقطوا معه في ساحة الجهاد ومما جاء في هذه الابيات [٣٣]

الما باشلاء الـعـلا والمكـارم تقـد باطـراف القنا والـصـوارم

وعـوجـا عليها ماريا وحفاوة مصارع غصت بالطلى والجماجم

تحي وجوها فـي الجنان وجيمة بما لقيت حمرا وجوه الـملاحم

واجسادها ايمان كسـاها نجيعها مجاسد مـن نسج الظبى واللهاذم

ادرك خايمي الاول ملك ارغون ان استيلائه على حصن انيتشيه جعل مشروعه لفتح بلنسية اقرب للتحقيق، لاسيما بعد الخسائر الكبيرة التي تكبدها المسلمون في الموقعه المذكورة وماترتب على ذلك من ضعف الروح المعنوية وتضاؤل الموارد، لذلك بدأ خايمي استعدادته لبدء المرحلة الاخيرة من الغزو وقبل الشروع بهذه الحملة وصلته الاخبار بوفاة خاله دون برناردو قائد حاميه انيتشه، وكان بعض مستشاريه عرضوا عليه ترك هذا الموقع الا انه رفض ذلك واجابهم ((كيف يمكننا الخروج من قصر كهذا بعدما بذلنا كل هذا الجهد لاحتلاله)[٣٤] لم يثن هذا الامر خايمي عن الاستمرار بحملته باتجاه بلنسية، فسار بجيشه نحو الجنوب فضرب الحصار على المدينة من كل جهاتها وعمل على قطع علاقاتها مع الخارج خشيه وصول الامدادات اليها من المناطق الاسلامية[٣٥] وكان زيان في ذلك الوقت يدافع عن مدينته بكل قوة وشجاعه دون ان يفقد الامل في نجدة المسلمين له، فبعث بسفارة الى امير افريقية ابي زكريا يحي بن الشيخ ابي محمد بن عبدالواحد بن ابي حفص، وكان على راس السفارة المؤرخ الكبير محمد بن عبدالله ابي بكر القضاعي المعروف بابن الابار، وقد حملت هذه السفارة الى امير افريقية بيعة اهل بلنسية له وتطلب منه بالمقابل سرعة الانجاد والغوث للحيلوله دون سقوط بلنسية بيد ملك ارغون[٣٦] وقد مثل السفير محمد بن ابي بكر القضاعي

بين يدي السلطان الحفصي الامير ابي زكريا في حفل مشهود، والقى قصيدة رائعة يستصرخ فيه الامير لتقديم المساعدة لاهل بلنسية وجاء في هذه القصيدة:[٣٧]

ادرك بخيلك خيل الله انـــدلسا ان السبيل الى منجاتها درسا
وهب لها من عزيـــز النصر ماالتمست فلم يزل منك عز النصر ملتمسا
وحـــــاش مما تعانيه حشاشـــها فطال ماذاقت البلوى صباح مسا
ياللجزيرة اضحـــى اهـلها جـــزرا للنائبات وامسى جـدها تعسى

وكان لهذه القصيدة المؤثرة بالغ الاثر في نفس الامير ابي زكريا الحفصي فبادر بتجهيز اسطول شحنه بالسلاح والاطعمه والكسى يتالف من اثنى عشر سفينة كبيرة، وست سفن صغار، عهد بقيادتة الى ابي يحيى بن الشهيد بن اسحق بن ابي حفص وتقدر الروايات قيمة ماشحن بهذا الاسطول بمائة الف دينار[٣٨].

وخلال الحصار حاول زيان الدخول في مفاوضات مع خايمي الاول لرفع الحصار عن المدينة مقابل تسليم بعض الحصون مع الالتزام بدفع جزيه سنويه مقدارها عشرة الاف دينار بيزنطي، لكن خايمي رفض ذلك وقال لمبعوث امير المسلمين ((بما اننا قد وصلنا الى نقطة متقدمة نحو بلنسية لدخولها سنستولي على الدجاجة الحاضنة ثم نصبح بعد ذلك اسيادا ملاكين طبيعين لفراخها))[٣٩].

وفي هذه الاثناء وصل الاسطول الذي بعثه الامير ابي زكريا الحفصي ومعه ابن الابار ورفاقه، الا ان هذا الاسطول لم يتمكن من ايصال المعونات الى اهالي بلنسية بسبب الحصار المشدد الذي فرضه ملك ارغون على المدينة من جهة البر والبحر، اضطرت بعد ذلك السفن التونسيه الى مغادرة بلنسية باتجاه الجنوب اذ افرغت حمولتها في مدينة دانية بعيدا عن المدينة المحاصرة، توجه بعد ذلك الاسطول نحو افريقية ومعه المال اذ لم يحضر من يتسلمه من قبل الامير ابي جميل زيان، هكذا فشلت الحملة التي نظمت لامداد المدينة المحاصرة وتركت بلنسية لمصيرها[٤٠].

كثف بعد ذلك خايمي الاول (جاقمة) من حصاره لمدينة بلنسية لاسيما بعد وصول الاخبار بمغادرة الاسطول الحفصي للمدينة واستمر الحصار لمدة خمسة اشهر حتى فنيت الاقوات وعدمت الموارد واشتد البلاء باهل المدينة، وثلمت الاسوار والابراج في اكثر من موقع، وقد عبر ابن عذاري[٤١] عن المحنة التي مرت بها المدينة حينما قال ((ان القمح كان يباع بها، ست اواق بدرهم والشعير عشرة اوقية بدرهم)) اما ابن الخطيب[٤٢] فيصف المحنة التي مرت بها المدينة اثناء الحصار حينما قال ((وواصل عدو الله جاقمة ملك ارغون منازلة بلنسية ورميها بالمجانيق وشدة القتال، ومازال المسلمون تنقص اعدادهم، والنصارى تتوارد امدادهم، الى ان نفذت الاقوات، واستولى الجوع وضعف القوي، واكلت الجلود والزقوق. وبلغ الكتاب اجله، فكانت المراوضة على اسلام البلد، والخروج عنه في الرابع عشر لصفر من السنة {أي سنة ٦٣٥هـ}، بعد سنة المنازلة، وخرج الامير ابو جميل والشهود، وعقد الصلح بعدها على دانية وقلبيره، وكان الرزء على المسلمين في اخذ بلنسية عظيما والخطب فيها اليما)).

اما الرواية النصرانية فينقلها لنا الاسقف براتشينا[٤٣] اذ يصف ظروف المحاصرين بقوله ((عاش المحاصرون ظروفا عصيبة وقلت المؤونة والزاد عنهم بينما توفرت بكثرة عند محاصريهم الذين توصلوا بامدادت جديدة، الف فارس وستين الف مقاتلا، وخلال المعركة حينما حمى الوطيس، اصيب الملك واخترقت نبله جبهته، انتزعها بكل شجاعة وهو ينزف ويبتسم لانه يقوم بدوره ويخدم دينة ويرضي ربه من خلال قتال المسلمين))

ولما طال الحصار واشتدت وطاته، وبلغ الاعياء بالمسلمين مبلغه جراء الهجمات المستمرة ويئس ابي جميل زيان من الانجاد، اضطر ان يفاوض النصارى في تسليم المدينة، وعقدت معاهدة التسليم بين الفريقين في ١٧صفر من سنة (٦٣٦هـ/١٢٣٨م) على الرغم من سخط البارونات والفرسان الذين كان يرغبون في دخول المدينة عنوة للحصول على الغنائم[٤٤] واشترط ابو جميل زيان ان يسلم مدينة بلنسية لملك ارغون بشرط ان يؤمن جميع اهلها في انفسهم وان تكفل لهم حرية الهجرة بجميع اموالهم الى حيث شاءوا، وان من اثروا البقاء في بلنسية منهم، كفلت لهم حرية مزاولة شعائرهم وشرائعهم وعاداتهم، والا يدفعوا من المكوس اكثر مما يدفع رعايا ملك النصارى الاخرون، ويجب ان تسلم جميع الحصون والمواقع الواقعة على الضفة اليمنى لنهر شقر الى ملك ارغون في مدة اقصاها عشرين يوماً مقابل ذلك يمنح ملك ارغون الى ابي جميل زيان ورعاياه المسلمين هدنة لمدة سبع سنوات[٤٥] وفي يوم الجمعة السابع والعشرين من صفر سنة (٦٣٦هـ/١٢٣٨م) دخل خايمي ملك ارغون وزوجته الملكة فيولاني واكابر رجال دولته مدينة بلنسية وبذلك يقول براتشينا[٤٦] ((امتطى الملك الفذ صهوة جواده ودخل ابواب مدينة بلنسية فاتحا، دمعت عيناه فرحا وهو يتخطى عتباتها ويرى الصليب المسيحي ورايتهم ترفرف)) وما كاد خايمي ان يدخل المدينة حتى قام بتحويل مسجدها الجامع الى كنسيه[٤٧] ثم قام بعد ذلك بتقسيم دور المدينة واموالها بين الاحبار والاشراف والفرسان، كل وفق ما اشترك به في الفتح، وكان اغلب الفرسان الذين احرزوا الاملاك في بلنسية وعددهم ثلاثمائة وثمانون من اهل قطلونيه، وكان هؤلاء اكثر ميلا من اهل ارغون في البقاء في تلك الاراضي الخصبة، وقد اسندت اليهم مهمة الحراسة والحرب[٤٨] واقبل النصارى من كل فج على سكن بلنسية وتعميرها، ومع ذلك فقد بقيت نسبة كبيرة من اهلها المسلمين، تدجنوا واستسلموا لمصيرهم الجديد[٤٩].

وبذلك اسدل الستار عن حكم المسلمين لمدينة بلنسية الذي استمر اكثر من خمسة قرون، وخضعت المدينة لحكم خايمي ملك ارغون ففقد المسلمون بذلك اهم مراكزهم في شرق الاندلس في حلقة متصلة من الاخفاقات لغياب الواعز الديني وانشغالهم بالصراعات الداخلية والاستعانة بالخصوم من اجل تحقيق مصالح آنية على حساب الدين والوطن.

ولما سقطت بلنسية بيد النصارى نزح اهلها الى قواعد الاندلس الباقية في الشرق والجنوب والوسط، وعبر قسم منهم البحر واستقروا في عدوة المغرب[٥٠]

اما حاكم بلنسية ابو جميل زيان فاتجة بعد مغادرته بلنسية صوب جزيرة شقر القريبة من المدينة المذكورة، وماكاد ان يستقر بها حتى زحف عليها الارغونين وطوقوها لانها لم تكن داخلة في نطاق الهدنة فاضطر زيان الى التخلي عن الجزيرة للنصارى وغادر الى مدينة دانية التابعة لبلنسية وكانت هذه المدينة مشموله بهدنة السبع سنوات واستقر فيها مع جموع المسلمين التي غادرت بلنسية[٥١].

لم يمض وقت طويل على عقد هدنة بلنسية حتى اخذ خايمي يفكر بالاستيلاء على باقي اراضي مملكة بلنسية متخليا بذلك عن العهود التي قطعها للمسلمين، احتج المسلمون واميرهم زيان بشدة على هذا الانتهاك وهذه الخيانة، وقالوا انهم لم يسلموا اليه بلنسية الا مقابل عقد الهدنة لبضعة اعوام[٥٢] هذا الاحتجاج لم يجد نفعا اذ توجه خايمي باتجاه ثغر دانية وتمكن من الاستيلاء عليه في سنة (٦٤٠هـ/١٢٤٣م) على الرغم من المقاومة الشديدة التي ابداها اهالي الثغر[٥٣].

لم يبق من المدن التابعة لبلنسية خارج سيطرة مملكة ارغون سوى حصن شاطبة الذي دخل طواعية تحت حكم ملك ارغون بعد ان اغرى حاكم الحصن المذكور بالحفاظ على ممتلكاته مقابل الدخول في طاعته[٥٤] وهكذا استولى الارغونين على سائر القواعد التابعة لبلنسية كجزيرة شقر ودانية وشاطبة ولقنت[٥٥]

ثالثاً: الأوضاع السياسية لمسلمي بلنسية (المدجنون) تحت حكم مملكة ارغون.

اطلق على المسلمين الذين احتفظوا باسلامهم تحت حكم الملوك النصارى قبل سقوط غرناطة اسم (المدجنون)[٥٦] ويذكر برامون[٥٧] ان المدجن هو المسلم الذي بقى في الاراضي الفالنسيه بعد ان غزاها خايمي الاول، وظل يواظب على اقامة شرائع الاسلام في مجتمع مسيحي، وكان يفعل ذلك علانية وبحرية تامة، بفضل سلسلة من المعاهدات التي عقدتها الطائفة المسلمة المهزومة مع الذين غزوا اراضيهم، وان هذا المصطلح ظل شائع الاستعمال حتى اصدر الملك شارل الاول قراراً في سنة (٩٣٢هـ/١٥٢٥م) يقضي بتنصير جميع المسلمين في بلنسية، ليحل محل مصطلح (المدجنون) مصطلح اخر هو الموريسكيون اي المسيحيون الجدد، ويضيف هارفي[٥٨] ان مصطلح المدجنون ينطوي على نوع من الخضوع، اذ ان كلمة الدجن تستعمل للاشارة الى الحيوانات الأليفة والطيور والحيوانات الداجنة.

مهما يكن الامر فان اغلب مسلمي بلنسية الذين خضعوا لحكم خايمي الاول ملك ارغون في سنة (٦٣٦هـ/١٢٣٨م) اثروا البقاء في مملكة بلنسية عن مغادرتها مستفيدين من معاهدة السلام المعقودة مع خايمي الاول والتي كفلت في بعض بنودها للمسلمين صيانة اموالهم وعقيديتهم ولغتهم وعاداتهم وتقاليدهم، الا ان خايمي تنكر للوعود التي قطعها للمسلمين وحول المسجد الجامع الى كنسيه والتجا الكثير من المسلمين الى المناطق الريفية في مملكة بلنسية حفاظا على دينهم ولغتهم وتقاليدهم وقبلوا ان يصبحوا عمالا زراعيين لدى الملاك المسيحيين الجدد الذين استولوا على الاراضي عن طريق الاقطاع والمصادرة[٥٩] اما الذين كانوا يمتهنون التجارة فقد سكنوا في احياء جنبا الى جنب مع المسيحيين، وقد حظي المزارعون في الارياف بحماية النبلاء والاقطاعيين للحفاظ على مصالحهم الخاصة، لأن اغلب المسلمين المدجنين في بلنسية كانوا يعملون في الاراضي التابعة لهؤلاء النبلاء والاقطاعيين وكانوا يمتازون بالكفاءة والخبرة في الجانب الزراعي وان اي مضايقة لهم ستنعكس بشكل سلبي على ملاك الارض التي يعملون فيها، وبذلك يقول ميرسون[٦٠] ((ان حرص الملك على اعطاء الامتيازات للرعايا المدجنين والتعهد بحمايتهم لم تكن وراء اعتبارات دينية ناتجة من موقف الدين المسيحي من الديانات الاخرى كذلك لاتحركه اعتبارات أخلاقية وان الامر يتعلق بأهمية المدجنين في عملية بناء الاقتصاد في داخل المملكة، ذلك ان عملية ابعاد المدجنين من المساهمة في بناء الاقتصاد لاتقف عند التأثير على التاج الملكي بل تتعداه الى طبقة النبلاء والطبقة الدينية اي المحصلة التي يمكن الخروج بها ان بقاء هؤلاء المدجنين يعود بالفائدة على كل الطبقات المؤثرة في صنع الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي في مملكة بلنسية)).

وعلى الرغم من حرص الملك على المصالح الاقتصادية لمملكة بلنسية والتي كان المدجنون عمادها الرئيسي الا انه كان يتعرض الى ضغوطات كبيرة من قبل الكنيسة للتخلي عن سياسة التسامح التي انتهجها تجاه رعاياه المسلمين، فلم يتمكن من الصمود طويلا امام هذه الضغوطات اذ سرعان ما قام بتحويل المساجد واملاكها الى ملكيات كنسية على الرغم من احتجاجات المسلمين فضلا عن استدعائه لاعداد كبيرة من المسيحيين للاستقرار في مدينة بلنسية وما حولها من المدن، وقد ادى هذا العمل الى حدوث صدام مباشر بين المسلمين والمسيحيين، فبدا النصارى بازعاج المسلمين واساءة التعامل معهم[٦١] عمد خايمي بعد ذلك وبمباركة من الكنيسة بعزل المسلمين باحياء خاصة بهم فضلا

عن مصادرة الاراضي الزراعية التي كانت بحوزتهم وتوزيعها على شكل اقطاعات الى المستوطنين الجدد من المسيحيين[٦٢].

امام هذه المعاملة السيئة والتنكر للوعود وجد المدجنون انفسهم امام خيارين لا ثالث لهما اما ترك البلاد او اعلان الثورة ضد السلطة الحاكمة وبما ان الامر الاول ليس بمتناول اليد لما يترتب على ذلك من صعوبات فكان اعلان الثورة والمطالبة بالحقوق هو الخيار الامثل، لذلك ثار المسلمون ثورتهم الاولى في بلنسية سنة (٦٥٢هـ/١٢٥٤م) [٦٣] وتزعم هذه الثورة رجل يدعى الازرق واستولى الثوار على عدد من الحصون والقلاع الواقعة بين شاطبة ولقنت، وسيطروا على المنطقة الجبلية الواقعة جنوب نهر (شقر) وبقيت هذه الثورة محصورة بهذه المنطقة فقط، ولكنها سرعان ما امتدت الى المناطق الاخرى فتوجه خايمي الاول على راس جيش الى بلنسية وعقد فيها اجتماع لمجلس النواب (الكورتس) وقرر هذا الاجتماع اتخاذ قرارات حازمة تجاه المتمردين من المسلمين ولعل ابرز هذه القرارات هو طردهم من مملكة بلنسية واحلال النصارى محلهم، بعد ان سمح لهم بان يحملوا معهم مايستطيعون حملة من اموالهم وامتعتهم[٦٤] اثار هذا القرار حفيظة المسلمين مما ادى الى اتساع نطاق الثورة لتشمل جميع مملكة بلنسية، وانضم اليه عدد كبير من المدجنين بلغ تعدادهم اكثر من ستين الفاً، ويشير براتشينا[٦٥] الى ان هذه الثورة تلقت الدعم من امراء غرناطة والمغرب، استطاع الثوار ان يستولوا على اكثر من (١٢) حصنا، ونتيجة لطول مدة الحصار الذي فرضه خايمي الاول على الثوار فضلا عن عدم التكافؤ بين الطرفين وقلة المساعدات الخارجية القادمة من غرناطة، جعلت امكانية تحقيق النصر على القوة العاتية التي كان يقودها خايمي الاول ضرب من الخيال، لذلك اضطر الثوار بعد ذلك الى الدخول بمفاوضات مباشرة مع خايمي الاول، سمح بموجبها الاخير للثوار بالنزوح الى المناطق القريبة[٦٦] وبذلك خرج الاف من المسلمين المدجنين من اراضي بلنسية فقصدوا مدينة مرسيه واعمالها وتفرقوا بها، وذهبت مجموعة اخرى منهم الى غرناطة، واشتد ساعد مملكة مرسيه بمن وفد اليها من هذه الجموع المهاجرة، واستطاعت ان تفرض احترام استقلالها الداخلي على النصارى مرة اخرى[٦٧] اما قائد الثورة الازرق فقد تابع نضاله في المناطق الجبلية واستمرت ثورته لاكثر من ثلاث سنوات، ارهق خلالها جنود خايمي الاول، مما اضطر الاخير الى اللجوء الى الحيلة لتشتيت شمل الثوار، فاتصل ببعضهم وعرض عليهم عقد هدنة مؤقتة، ثم اغرى بعد ذلك احد قادة الازرق بالمال وطلب منه ان يبيع له كميات من المؤن المدخرة في القلاع الثائرة، على اعتبار ان الهدنة تمتد الى ما بعد موسم المحاصيل[٦٨] وممكن تعويض هذه المؤن حينما تنزل المحاصيل الجديدة، فباع الاخير كميات كبيرة من المؤن المدخرة في حصونه، ولما تأكد خايمي من قلة المؤن الموجودة في الحصون قام بمحاصرتها[٦٩]، وبهذه الخطة استطاع خايمي الاول القضاء على الثورة بعد ان اضطرت العديد من الحصون الى الاستسلام لقلة المؤن، وبذلك لم يكن امام قائد الثورة الازرق من بد، سوى الدخول هو الاخر في مفاوضات مع خايمي الاول في سنة (٦٦٥هـ/١٢٥٧م) اي بعد ثلاث سنوات من الثورة، وتم الاتفاق بين الطرفين على ان يسمح الملك لقائد الثورة ومن معه الانسحاب الى غرناطة، وان يعفو الملك عن الثوار الراغبين في البقاء بارضهم[٧٠]، وبذلك اسدل الستار عن اول ثورة قام بها المدجنون للمطالبة بحقوقهم المصادرة تحت السيادة المسيحية بعد ان شاهدو بأم اعينهم السياسة المتسامحة التي انتهجتها الدولة العربية الاسلامية اتجاه اهل الذمة القاطنين في مملكة بلنسية خلال حقبة الحكم الاسلامي لهذه المنطقة.

اما موقف الكنيسة المسيحية في روما من الاحداث في بلنسية فغالبا ما كان يتسم بالشدة والعداء للمسلمين، اذ اشترط البابا كليمانت الرابع على الملك خايمي الاول ان يقسم امام مذبح العذراء في كنيسة بلنسية بإبادة المسلمين في مملكته مقابل التنازل عن حصته في الضرائب المسماة بالعشر، فاقسم الملك على ذلك والتزم به علنا، ولما انتهت

الثورة وطرد الملك من طرده[٧١] وجد خايمي الاول نفسه عاجزا عن تلبية مطالب البابا بطرد المسلمين من بلنسية لعدة اسباب منها اهمية المسلمين بالنسبة لاقتصاد المملكة، وان اي اجراء من هذا النوع سوف يصطدم بمعارضة قوية من النبلاء الذين يعتمدون بشكل اساسي على المدجنين المسلمين في زراعة ارضهم، فضلا عن ذلك فان انتهاج سياسة من هذا النوع ستنعكس سلبا على مشروع خايمي الاول في السيطرة على مناطق اضافية من اراضي الاندلس، لاسيما اذ ماعلمنا ان ملك ارغون خايمي الاول كان يواجه منافسة شديد من مملكة قشتالة في الاستيلاء على الاراضي الاسلامية التي مازالت بيد المسلمين فاي سياسة اضطهاد ستبعد المسلمين عنه وتجعلهم يقتربون من مملكة قشتالة[٧٢] وللخروج من هذا المازق وايجاد حل وسط، يرضي به البابويه من جهة، ويضمن له عدم معارضة النبلاء من جهة اخرى، قام برفع حماية الدولة عن المسلمين وبشكل نهائي.[٧٣]

وبهذا الاجراء فتح الباب على مصراعية امام العصابات والاشقياء الذين لاهم لهم سوى جمع المال والفتك بالمسلمين وبما يتلائم مع توجيهات البابويه، وابتعد خايمي عن اتخاذ اي اجراء بشان مايحدث بحق المسلمين رغم الشكاوى التي كانت ترفع له، وبذلك تخلص من الحرج الكبير الذي كان يساوره بشان الالتزامات التي قطعها للكنيسة[٧٤] وترك المسلمين فريسة للعصابات الاسبانية التي اتخذت من حصن اليقنت القريب من مدينة بلنسية مقرا لها، وبدات بمهاجمة القرى التابعة للمدينة وخطف الناس من الشوارع والحقول وبيعهم كرقيق بابخس الاسعار، فضلا عن نهبهم لدور المسلمين دون اي واعز من ضمير، ولا رادع من دين او سلطة.[٧٥]

واتجاه هذا الوضع الغريب والظلم الذي لم يشهد له التاريخ مثيلا رفع المسلمون شكاوى للملك خايمي يطلبون منه وضع حد لتجاوزات هذه العصابات، الا ان مطالبهم لم تجد اذانا صاغية، واكتفى خايمي بان سمح لهم بترك الاودية والسهول التي يعيشون فيها والاستقرار بالمناطق المحصنة في الاماكن المرتفعة[٧٦] ازاء هذا الوضع المزري الذي اصاب المدجنون في مدينة بلنسية لم يكن امامهم خيار سوى اعلان الثورة والتكفل بحماية انفسهم من عبث العصابات والاشقياء وكان اعلان الثورة في سنة (٦٧٥هـ/١٢٧٦م) في جنوب نهر شقر، واحتل الثأرون دفعة واحدة اربعين حصنا ومعقلا[٧٧] وارسلوا الى ابي عبدالله امير غرناطة يسالونه العون والنجدة[٧٨] لم يكن بمقدور الملك خايمي في هذه الاثناء مواجهة الثورة على الرغم من وجوده في مملكة بلنسية لانه لا يمتلك القوات الكافية للقيام بمثل هذا العمل، لذلك لجا الى التفاوض مع الثوار على امل وصول الامدادات العسكرية من المناطق الاخرى، فأعلن للثائرين بانه يمنح هدنة لجميع الحصون التي لاترفع علم غرناطة، اما الحصون الذي ترفعه فسوف يهاجمها فورا[٧٩]

ولما تجمعت لدى ملك ارغون بعض القوات قام بمحاصرة مدينة شاطبة مركز الثورة، وفي هذه الأثناء وصلت قوات من غرناطة ومتطوعين من المغرب اسندت قيادتهم الى الازرق قائدة ثورة بلنسية الاولى، وبذلك اصبح المسلمون بمركز قوي يمكن ان يهدد الجيوش النصرانية ويسبب لها الحرج الا ان مقتل زعيم الثورة الازرق في كمين نصب له اضعف الثورة، وعلى الرغم من ذلك استطاع الثوار الصمود لاكثر من سنة واستولوا على الكثير من المناطق القريبة من بلنسية[٨٠] في هذه الاثناء توفي خايمي الاول فاوصى ابنه وخليفته بيدور الثالث بطرد المسلمين من بلنسية وجاء في وصيته ((لقد تقدمنا بالوعد امام مذبح العذراء في بلنسية بان نخرج المسلمين من ارضنا، وذلك مقابل تنازل البابا عن العشر، فاننا نرجو من ولي العهد دون بدور ان يطرد جميع المسلمين من مملكة بلنسية وان لايبقي منهم فيها احد لاي سبب كان، حتى ولو دفعوا ماعليهم))[٨١] وبذلك يقول براتشينا[٨٢] ((حينما كان الملك دون خايمي مريضا في الثيرا على فراش الموت، الا ان ايمانه جعل يكلف ابنه دون بيدور بالخروج اليهم لمحاربتهم)). لم يلتزم بيدور بوصية والده

ودخل في مفاوضات مع رؤساء الثورة واتفق معهم على هدنه مدتها ثلاثة اشهر، واستثنى من هذه الهدنة بعض الحصون التي اعتقد بان بمقدرته اخضاعها في فصل الخريف عن طريق الحصار وقطع المؤن عنها.[٨٣]

عاد بعد ذلك بيدور الى سرقسطة حيث توج فيها ملكا، وبقي في مملكة ارغون يدير امورها حتى نيسان من سنة (٦٧٦هـ/١٢٧٧م) ليتجه بعد ذلك الى بلنسية ليواصل حملته ضد المدجنين المسلمين، واعد العدة لمهاجمة الحصون الستة التي استثناها من شروط الهدنة، وبالفعل قام بمهاجمة هذه الحصون واتلف المزروعات المحيطة بها، وصادر القوت والمؤن، ولم يكن في هذه الحصون كميات من المؤن تكفيها لمدة طويلة، لذلك انسحب الثوار الى حصن (مونتيسا) الحصين، وكان بيدور ينتظر اجتماع الثوار في هذا الحصن ليقضي عليهم دفعة واحدة قبل ان تصلهم النجدات من غرناطة والمغرب، وبالفعل تم له ما أراد في ايلول من نفس السنة اذ تمكن من دخول هذا الحصن بعد محاصرته من كل الاتجاهات، فلم يكن امام المحاصرين من خيار سوى الاستسلام دون قيد او شرط، وبذلك انتهت هذه الثورة[٨٤] ويشير براتشينا[٨٥] الى ان بيدور عمد بعد استيلائه على حصن (مونتيسا) على الابقاء على المدجنين للاستفاده من خبرتهم الاقتصادية في اعمار البلاد، وعمد ايضا الى تنصيرهم بشكل طوعي، واسند هذه المهمة الى رجل الدين المسيحي اخوان دي بوير بينتوس الذي كان يجيد اللغة العربية، ووعدهم مقابل اعتناقهم للدين المسيحي باعطائهم امتيازات خاصة.

ففي سنة (٦٨٢هـ/١٢٨٣م) اصدر الملك بيدور الثالث قانونا يسمح فيه لرعاياه المسلمين الاقامة حيثما شاؤا في مملكتة كما سمح لهم بممارسة التجارة بحرية تامة، لكنة حرم عليهم وظائف القضاء والشرطة والمالية، والزمهم بان يقسموا يمينا بان لايقرضوا اموالا بفائد تزيد على ٢٠% سنويا ويعاقب المخالف بغرامة مالية قدرها خمس دوقات ذهبية، ومنع قبول شهادة المسلم الابشروط حددها، وقضى بسقوط الدين غير المعقود امام القضاء بعد ست سنين اذا كان المقرض مسلما[٨٦]

اصدرت بعد ذلك السلطة العديد من القرارات التي تخص المسلمين في مملكة بلنسية الا ان هذه القرارات لم تفرض اي قيود على الحرية الدينية للمجتمع المسلم في بلنسية، وانما كانت تهدف الى تنظيم العلاقة بين المسلمين واسيادهم المسيحيين، واستمرت هذه القرارات بالصدور طيلة القرنين الرابع عشر والخامس عشر[٨٧] اذ تمتع المسلمون في بلنسية خلال القرنين المذكورين بحرية تامة في ممارسة طقوسهم الدينية، ولم تسجل المصادر الاسبانية اي حادثة من شأنها تعكير صفو العلاقة بين المسلمين والمسيحيين خلال هذه الحقبة التاريخية، باستثناء حادثة واحدة حدثة في سنة (٨٦٠هـ/١٤٥٥م) اذ تعرضت الاحياء الاسلامية في مدينة بلنسية الى هجوم من بعض العصابات الأسبانية اذ هاجمت هذه العصابات بيوت المسلمين في المدينة وعملت على نهبها ولم توضح المصادر الأسبانية سبب مهاجمة هذه العصابات لبيوت المسلمين الا ان برامون[٨٨] برر ذلك بالخوف الذي سيطر على المدينة نتيجة التهديد بغزو اسلامي محتمل، ويضيف ميرسون[٨٩] الى ذلك الاسباب الاقتصادية اذ تعرضت المدنية الى الجفاف وارتفاع الاسعار وانتشار الامراض، اما المصادر الاسلامية فقد تجنبت الحديث عن المدجنين بشكل نهائي، لأن الشرع الاسلامي كان لايجيز للمسلمين البقاء في دار الحرب (اي الدار المسيحية) ولذالك فان النظر الى المسلمين الذين اثروا البقاء في مملكة بلنسية كانت تتسم بالشك والريبة مما انسحب على المؤرخين وجعلهم يعزفون عن التاريخ لهذه الفئة المظلومة من المسلمين[٩٠] ويعلل هارفي[٩١] سبب صمت المصادر الاسبانية عن ذكر المدجنين في بلنسية طيلة القرنين الرابع عشر والخامس عشر فيقول ((وبما ان المدجنين كانوا يعيشون داخل المجتمعات المسيحية، فقد كانوا بالطبع جزءا من النسيج الذي يكوّن تاريخ الدولة المسيحية، وكان غيابهم عن المسرح السياسي دليلا صامتا على موقف التسامح منهم. وقد

كانوا عموما رعايا واتباع مطيعين، وموضع تقدير بهذا المعنى، ولذا كان المؤرخون الذين ينظرون نظرة عامة الى المجتمع الاوسع الذي كانوا يعيشون فيه نادرا ما يجدون مايدفعهم للحديث عنهم الا حديثا عابرا ، فلم يكن الامر افضل من ذلك على ايدي الكتاب المسلمين المعاصرين، او عند المؤرخين المحدثين للحضارة الاسلامية)).

ويذكر ميرسون[٩٢] ان المدجنين ظلوا لمدة طويلة قبل سقوط غرناطة يتمتعون في ظل ملوكهم بنوع من الطمأنينة والرخاء والامن فكان يسمح لهم بالاحتفاظ بدينهم وشريعتهم ومساجدهم ومدارسهم وكان لهم في العصور الاولى قضاة منهم يحكمون في سائر المنازعات التي تقع فيما بينهم وفقا للشريعة الاسلامية، اما المنازعات التي تقع بين مسلم ونصراني فكان ينظر بها احيانا من قبل قاضي نصراني، او تنظرها محكمة مختلطة من قضاة الملتين، ويذكر هارفي[٩٣] ان سبب انفتاح السياسة الاسبانية على المدجنين في شبة الجزيرة الايبرية هو وجود مملكة غرناطة الاسلامية في جنوب اسبانيا، وما كانت تمثلة هذه المملكة من ضمانه اخيرة لحقوق المسلمين الخاضعين للسيادة المسيحية، فضلا عن ان السياسة الاسبانية كانت تفضل بقاء هؤلاء المسلمين على هجرتهم لأهميتهم الاقتصادية اذ انها لو لم تتبع هذه السياسة المتسامحة بحق المسلمين لهاجر معظم السكان ولاقفرت مساحات شاسعة من الاراضي الزراعية لاسيما اذ ما علمنا ان المستوطنين الجدد لم تكن لهم دراية بالاعمال الزراعية، وكان جل اعتمادهم على المسلمين[٩٤].

ويمكن ان نضيف سبب اخر دفع المملكة الاسبانية الى انتهاج سياسة التسامح تجاه المسلمين، هو ان هذه المملكة كانت تخشى ان يتعرض المسيحيون في البلاد الاسلامية الى مضايقة كرد فعل لما يتعرض له المسلمون في البلاد المسيحية[٩٥] واتضح ذلك جليا بعد سقوط غرناطة سنة (٨٩٧هـ١٤٩٢م)، اذ تخلى الملكان الكاثوليكان فرديناند وايزابيلا عن العهود التي قطعت للمسلمين وفق معاهدة تسليم غرناطة والتي ضمنت لهم سلامة انفسهم وأموالهم وعقيدتهم، ودعا الملكان المذكوران في سنة (٩٠٤هـ/١٤٩٩م) الى تنصير جميع المسلمين في اسبانيا[٩٦] لذلك لم يكن امام مسلمي غرناطة سوى الاستنجاد بدولة المماليك في مصر والطلب منها التضييق على رعاياها المسيحيين لحمل ملك اسبانيا الى التراجع عن قراره[٩٧] لاسيما اذ ما علمنا ان دولة المماليك كانت تسيطر على الاماكن المقدسة بالنسبة للمسيحيين في بيت المقدس، الا ان سلطان المماليك في ذلك الوقت (قانصوه الغوري) لم يستطع التحرك بهذا الاتجاه بسبب الضغوط الكبيرة التي كانت تمارس عليه من قبل الاسبان الذي تملكوا زمام المبادرة خلال هذه المرحلة لامتلاكهم القوة البحرية الكبيرة التي كانت تسيطر على الملاحة في البحر الابيض المتوسط، ولتحييد المماليك ومنعهم من تقديم اي مساعدة لمسلمي غرناطة، ارسل ملك اسبانيا فرديناند مبعوثا الى مصر هو العالم بيتر مارتر، لتوضيح وجهة النظر الاسبانية لما يحدث في غرناطة ولعرض مساعدات على سلطان المماليك، فضلا عن اشعاره بقوة المملكة الاسبانية لذلك ذكر بيتر للمماليك ان ملوك اسبانيا ليسوا مرغمين على تبرير افعالهم لأنهم قوة كبرى لاتخضع لأي ملك في العالم، وان مايحدث في غرناطة هو نتيجة تمرد المسلمين على المسيحيين وقتلهم اعداد كبيرة منهم لذلك فان السلطات الاسبانية وضعت هؤلاء المتمردين امام خيارين اما ترك البلاد او الدخول في الدين المسيحي، فدخلت اعداد كبيرة منهم عن طواعية[٩٨]

وحذر بيتر المماليك بأن اي خطوة تتخذ من قبل المماليك اتجاه المسيحيين الشرقيين، فان المدجنين في بلنسية لن يكونوا بمنجاة من المتاعب، وهم الذين كانوا حتى ذلك التاريخ ينعمون بحسن المعاملة ((حيث كان الموريون

يعيشون بسلام بين المسيحيين لديهم مساجدهم الخاصة، ولهم خيولهم الخاصة التي يمتطونها ومعهم رماحهم واسلحتهم، وكانوا يعاملون بعدالة كما يعامل المسيحيون)) [٩٩]

ومن الجدير بالذكر ان مدينة بلنسية احتفظت باعداد كبيرة من المسلمين تفوق كثيرا المدن الاندلسية الاخرى التي سقطت بيد الاسبان، بسبب ضعف تدفق المسيحيين لهذه المنطقة على الرغم من دعوة الملك لذلك، فبقيت الكثير من المناطق ذات اغلبية اسلامية[١٠٠] ويختتم هارفي[١٠١] حديثة عن مدجني بلنسية بقوله ((والخلاصة ان التشريع المسيحي بخصوص المسلمين في بلنسية كانت فيه مظاهر تسامح ومظاهر بخلاف ذلك، فهو تشريع يرمي الى طرد المسلمين كما يرمي الى حصر حركاتهم، وكان يضمن لهم حرية ممارسة الشعائر الاسلامية، كما يسعى في الوقت نفسه الى القضاء على تلك الشعائر وكانت مثل هذه التناقضات توجد في اماكن اخرى، لكن وجود اعداد كبيرة من المسلمين في بلنسية كان يعني ان سياسات المسيحيين المتقلبة قد ادت الى مزيد من العنف وسفك الدماء في بلنسية مقارنة بما كان عليه الحال في اماكن اخرى))

وعلى الرغم من المضايقات التي تعرض لها المدجنون في الديار المسيحية في الاندلس وفي بلنسية على وجه الخصوص فانهم ظلوا متمسكين بعقيدتهم الاسلامية بشكل كبير يفوق التصور وكانوا مستعدين للتضحية بالغالي والنفيس من اجل الاستمرار بممارسة الشعائر الاسلامية، فهم بحق كان ينطبق عليهم قول الرسول (ص) (المتمسك يومئذ بدينة كالقابض على الجمرة)[١٠٢].

وكان المسلمون في بلنسية يأملون من اخوانهم في الدين الموجودين في غرناطة الاسلامية، او في الشمال الافريقي ان يمدوا لهم يد العون في نضالهم المستمر ضد السلطات المسيحية الحاكمة، الا ان شيئاً من هذا القبيل لم يحدث على الرغم من الثورات العديدة التي قامت في بلنسية والتي اشرنا اليها فيما مر انفا، واذا كنا نلتمس العذر للسلطات الاسلامية على انها غير قادرة على مواجهة الطاغوت الاسباني لضعف الامكانيات المادية والعسكرية، فكان يجب عليها ان تحث علماءها على اصدار فتاوى تشد من ازر هؤلاء المستضعفين من اجل الحفاظ على دينهم، وان تدعوا الفقهاء الاندلسيين على عدم ترك البلاد المذكورة ليكونوا عونا ومرشدا للمسلمين في تلك الديار لمواجهة الضغوط من قبل الكنيسة الاسبانية التي كانت تسعى باستمرار الى تنصيرهم، الا اننا وجدنا عكس ذلك تماما، اذ اصدر فقهاء المسلمين في المغرب العربي فتاوى لاتجيز للمسلمين البقاء في الديار النصرانية ومن هذه الفتاوى الفتوى التي اصدرها مفتي وهران ابو زيد عبدالرحمن الصنهاجي المعروف بابن مقلاش (عرفت اعمال في حدود عام (٧٩٤هـ/١٣٩٢م) ((ان الله عدو الكافرين، وهم اعداء انبيائه ورسله. فكيف يمكن للمسلم ان يكون جارا لمن هو عدو الله؟ وعدو لنبيه؟.. الاذعان لقوانين الشرك من الامور المحظورة قطعا، واحد اسباب بقاء الناس بين المشركين ضعف الايمان.. وغياب القناعة))[١٠٣] غير ان اشهر فتوى صدرت بحق المسلمين المقيمين في الديار المسيحية هي تلك الفتوى التي صدرت عن الونشريسي (المتوفى٩١٤هـ/١٥٠٨م) والتي لم تخرج عن سياق فتوى ابن مقلاش في تحريم اقامة المسلمين في الديار النصرانية، اذ حكم الونشريسي[١٠٤] على المسلمين المتخلفين في الاندلس بالكفر والعصيان ((لأن مساكنة الكفار من غير اهل الذمة والصغار لاتجوز ولاتباح ساعة من نهار، لما تنتجه من الادناس والاوضار والمفاسد الدينية والدنيوية، طول الاعمار منها ان غرض الشرع ان تكون كلمة الاسلام وشهادة الحق قائمة على ظهورها عالية على غيرها منزهه من الازدراء بها، ومن ظهور شعائر الكفر عليها، ومساكنتهم تحت الذل والصغار تقتضي ولا بد ان تكون هذه الكلمة الشرفة العالية المنيفة سافلة لا عالية، ومزدرى بها لا منزهه، وحسبك بهذه المخالفة للقواعد الشرعية والاصول وبمن يتحملها ويصبر عليها مدة عمره من غير ضرورة ولا اكراه)) كذلك اصدر الونشريسي[١٠٥] فتوى بشأن

رجل من الاندلسيين التمس موافقة الفقهاء على البقاء في الاندلس لمعاونة اخوانه الضعفاء والتكلم باسمهم عند السلطات ومداخلة الروؤساء لرعاية شؤونهم، فاجاب الونشريسي طلب ذلك الرجل بالرفض والزمه بالهجرة الى دار الاسلام.

وبذلك وضع الونشريسي[١٠٦] المسلمين في معظم ارجاء اسبانيا في موقف حرج، بعد ان حرمهم من قيادتهم، ولو اقام الرؤساء والاعيان ونقباء اهل المهن وشيوخ الدين لما انحل امر هذه الجماعات واصبحوا ارقاء في مزارع النبلاء الاسبان ولكان لهم شأن اخر، شأنهم في ذلك شان المستعربين الذين عاشوا في كنف الدولة العربية في الاندلس في ذمة الاسلام، اذ ساهم بقاء رؤسائهم وقساوستهم فيما بينهم في حفظ كيانهم وشخصيتهم وزاد من احترام المسلمين لهم بعدّهم يمثلون مكونا اساسيا من مكونات المجتمع الاندلسي[١٠٧]

وبذلك يمكن القول بان الفتوى التي اصدرها الونشريسي بشأن المسلمين في ارض الدجن، لم تأخذ بنظر الاعتبار، ان اغلب الناس غير قادرين على ترك بلادهم، اذ ان الهجرة لم تكن في ذلك الوقت امر يسير يتوقف على رغبة المسلم، بل كانت امرا عسيرا كل العسر حافلا بالصعوبات والمخاطر والمكاره، اذ كان لابد للعازم عليها ان يؤدي قدر من المال ذهبا حتى تأذن لها السلطات في الانتقال[١٠٨] كذلك فان الطرق التي كان يسلكها المهاجر غير آمنة تجعله عرضة للقتل او السطو او البيع بسوق الرقيق فيما اذا نجا من تقلبات البحر الذي لاتأمن فيه صغار السفن التي يستطيع المهاجرون الركوب فيها[١٠٩] فضلا عما كان يتعرض له المهاجرون من عمليات السلب والنهب والقتل في العدوة المغربية من قبل قطاع الطرق الذين لاهم لهم سوى الحصول على المغانم[١١٠]، وعلاوة على هذا وذاك فقد اصدرت السلطات المسيحية في مملكة ارغون وبالتحديد في مدينة بلنسية على عهد الملك دون بيدور الرابع قرارا في سنة (٧٧٢هـ/١٣٧٠م) يحرم على المسلمين ترك المملكة والهجرة الى افريقيا وغرناطة حتى لو دفعوا خمس اموالهم نظرا للأهمية الاقتصادية لمدجني بلنسية[١١١] امام كل هذه العوائق لايمكن لأي منصف ان يلقي اللائمة على المسلمين في ارض الدجن لعدم ترك اوطانهم والتوجه الى المغرب لأن السلطات في تلك البلاد لم تكن حريصة على توفير الظروف الملائمة لهؤلاء المهاجرين ويتضح ذلك جليا من خلال الاستفتاء الذي قدم للونشريسي بشأن جماعة من الاندلسيين الذين تركوا الاندلس واستقروا في المغرب الا انهم ندموا بعد ذلك على تركهم الاراضي الاندلسية لانعدام الامن في المغرب وضيق المعاش وتدهور الاحوال واخذوا يفكرون في العودة الى حكم النصارى لانه ارحم بالنسبة لهم[١١٢] وهذا ما اكده الونشريسي[١١٣] على لسان هؤلاء المهاجرين حين قال ((الى ها هنا يهاجر من هناك، بل من ها هنا تجب الهجرة الى هناك)).

خلاصة القول ان المسلمين في بلنسية وعلى الرغم ممّا تعرضوا له من مضايقات فقد استطاعوا الحفاظ على لغتهم والكثير من عادتهم وتقاليدهم[١١٤] فضلا عن ضمان حقوقهم في ممارسة شعائرهم الاسلامية وصيانة مساجدهم والتقاضي امام محاكمهم الخاصة[١١٥] ويعزو هارفي[١١٦] سبب حفاظ المجتمع الاسلامي في بلنسية على الكثير من خصائصه العربية الاسلامية الى وقت متأخر وبالتحديد حتى بداية القرن السادس عشر اذ ما قورن بالمناطق الاخرى الى ان اغلبية سكان بلنسية كانوا من المسلمين وبذلك يقول ((فقد استغرق تنامي المسيحيين زمنا طويلا فبقيت كثير من المناطق ذات اغلبية مسلمة، تتكلم العربية وربما كان المسيحيون غير راغبين في النزوح الى هذا المحيط الغريب، وهكذا بقي مجتمع المسلمين على حالة تقريبا في بلنسية لمدة اطول بكثير مما في غيرها)) ويضيف هارفي[١١٧] ((ان بقاء الكثير من ماضي المسلمين في بلنسية لا يعني ان حضارة الاسلام قد بقيت على حالها من دون تغير فلو نظر

المرء في نص عربي بلنسي لوجد ظاهرة في لغة لاشك انها عربية، ولكن يتشربها على مستويات لغوية عديدة ما دخل عليها من لغة الغالبين الرومانس، وقد بقيت العربية لغة حية، ولكنها لم تنج من التغيير وقد بقيت كذلك مؤسسات ومنظمات اجتماعية بحيث يبدو ان بلنسية قد حفظت كثيرا من مظاهر الدولة الاسلامية، ولكن عدم وجود سلطان او امام على رأس الهرم الاجتماعي، بل وجود ملك ميسحي يغير التوازن في كل شيء.. لقد استمر بقاء الاسلام من دون امام ولم يستطع المبشرون المسيحيون التغلغل بين الجماهير الاسلامية لكن الاسلام الصحيح هو الذي تحمل العبء)).

إلا ان حالة التعايش السلمي والتسماح الذي كان يعيشه المسلمون المدجنون في بلنسية في ظل السيادة المسيحية لم يستمر طويلاً إذ اصدر الملك شارل الاول ملك أرغون قراراً يقضي بتنصير جميع المسلمين في بلنسية وقد صدر هذا القرار سنة (٩٣٢هـ/١٥٢٥م)[١١٨] وبذلك فأن السلطات المسيحية في بلنسية وضعت المسلمين امام ثلاث خيارات لايمكن الحياد عنها: الاولى أعتناق المسيحية بشكل صادق وهذا الخيار يكاد يكون شبه مستحيل للاتصاق المسلمين بدينهم أما الخيار الثاني فهو رفض التنصير وقبول نتائج هذا الرفض وقد جرب المسلمين هذا الخيار إلا انه لم يأتِ بنتائج طيبة إذ تعرض المسلمون الى اقسى أنواع الاضطهاد على يد عصابات الخيرمانيا[١١٩] التي هاجمت الاحياء الاسلامية في بلنسية وقامت بقتل اعداد كبيرة من المسلمين اما من سلم منهم فقد تعرض الى التنصير القسري. وبذلك لم يبق امام المسلمين سوى الخيار الثالث والاخير هو القبول بتنصير شكلي زائف يحافظ فيه المتنصر على دينه سراً بعد عدم السماح له بممارسة شعائره الدينية بحرية [١٢٠]

وفي ظل هذه الظروف كان على مسلمي بلنسية (المسلمون المدجنون) ان يكيفوا انفسهم مع الوضع الجديد وان يمارسوا الاسلام بشكل سري لانهم اصبحوا نظريا مسيحين، وقد استفاد المسلمون المدجنون في بلنسية من تجربة اخوانهم في قشتاله وغرناطة الذين تم تنصيرهم في سنة (٩٠٨هـ/١٥٠٢م) اي قبل ثلاثة وعشرون سنة من تنصير المسلمين في بلنسية، اذ نجح مورسيكيو غرناطة في ايجاد صيغة للحفاظ على اسلامهم دون ان تكتشفهم السلطات الحاكمة، اذ طلب مورسيكيو غرناطة من مفتي وهران في الجزائر، ان يصدر لهم فتوى تجيز لهم ممارسة بعض التقاليد المسيحية من اجل الحفاظ على اسلامهم من ان يكشف وبالتالي يتعرضون الى العقوبات، فاصدر مفتي وهران احمد بن جمعة المغراوي في سنة (٩١٠هـ/١٥٠٤م) فتوى تجيز للمسلمين التساهل في القواعد الصارمة والمفاهيم المحددة في الاسلام يستطيع المسلم من خلالها التحايل على السلطة الحاكمة ويظهر امامها بمظهر الملتزم بتعليمات الديانة المسيحية[١٢١] اذ قدم المغراوي مجموعة من النصائح للمسلمين بخصوص تأدية العبادات بعيدا عن انظار المسيحيين وخاطب اهل الاندلس بكتاب جاء فيه ((الى اخواننا القابضين على دينهم كالقابض على الجمر، حافظوا على الصلاة ولو بالاشارة، ادو الزكاة ولو بالتصدق على الفقراء او كافتخار، فالله لاينظر الى صوركم وانما الى قلوبكم، ولكي تتطهروا يمكنكم الاستحمام في البحر او النهر، واذا منعتم من ذلك فتطهروا في الليل فسيكون لكم اجرا من تطهر في النهار، تيمموا ولو بلمس الحائط بايديكم، فاذا لم تتمكنوا من ذلك فحاولوا توجيه نظركم ناحية الارض او الحجر الذي يصلح بنية اداء التيمم، واذا اجبرتم على عبادة تماثيل المسيحيين في اوقات الصلاة فاضمروا نية تكبير الاحرام واتمام الصلاة، ووجهوا انظاركم نحو التماثيل حينما يفعل المسيحيون ذلك، وللتتجه نيتكم الى الله حتى لو لم تتوجه وجوهكم شطر القبلة بنفس طريقة من يؤدي الصلاة وهو في حالة الحرب ضد العدو))[١٢٢]

اما الممارسات المحرمة من قبل الاسلام والتي يمكن الامتناع عنها لانها علامة على تمسك المسلمين بالدين الاسلامي كشرب الخمر واكل لحم الخنزير، فقد وضح المغراوي للمسلمين كيفية التعامل مع هذه الظروف التي تواجههم

في حياتهم اليومية ((واذا اجبرتهم على شرب الخمر او اكل لحم الخنزير فاكلوا وطهروا نياتكم واعترفوا بحرمته، وافعلوا ذلك مع اي شيء اخر محرم، اذا زوجوكم من نسائهم فاعتبروا ذلك حلالاً فهن يؤمن بدين سماوي، وضحوّا ان هذا الامر محرم وانكم تفعلونه مكرهين وانكم لو استطعتم لغيرتموه، واذا اجبروكم على الربا فافعلوا وطهروا نياتكم واطلبوا من الله المغفرة، اذا وضعوكم في كفة الكفر واستطعتم التظاهر بذلك فافعلوا وارفضوا بقلوبكم ماتؤكدونه بكلماتكم عن الاضطرار، واذا قيل لكم سبوا محمد فسبوه قولا واحبوه بقلوبكم وانسبوا الشر الى الشيطان او الى محمد اليهودي)) [١٢٣]

من خلال القراءة المتانية لفتوى المغراوي يتضح لنا ان هذا الفقية قد وضع الاطار المناسب لنشوء الديانة السرية في اسبانيا والتي استمرت لاكثر من قرن من الزمان، وللحفاظ على سرية هذه النصائح فقد نقل الكتاب الى لغة الالخميادو وهي لغة ادبية يصعب على الاسبان التعرف عليها لانها تكتب باللغة الاسبانية ولكن بحروف عربية، ويذكر هارفي[١٢٤] ان فتوى المغراوي ترجمة الى اللغة الاسبانية ثلاث مرات وكان الغرض من ترجمتها الى لغة الالخميادو للحفاظ على سريتها من جهة ولكي يفهمها بسطاء الناس الذين فقدوا لغتهم العربية بمرور الزمن.

سار المسلمون في بلنسية على نفس نهج اخوانهم في غرناطة وقشتاله، اذ استمروا باقامة الشعائر الاسلامية بشكل سري، مستفدين من فتوى المغراوي سالفة الذكر فضلا عن استفادتهم من تسامح سادتهم المسيحيين معهم، ففي ذروة الاضطهاد الذي كان يتعرض له المسلمون في بلنسية وذلك في سنة (٩٣٣هـ/١٥٢٦م)وما نتج عن ذلك من تمرد اهل القرى القريبة من بلنسية، نجد احد النبلاء المسيحين يتعاطف مع مسلمي بلنسية، ويطلب من نائب الملك التفاوض مع سكان احد القرى المتمردة لاجبارهم على الاستسلام، وقد طلب من اهلها قبول العماد والتظاهر بالمسيحية وان بوسعهم في وقت لاحق العودة الى الاسلام، وقد خاطب اهل القرية قائلا ((ايها الحزانى البائسين، يامن تسلمون انفسكم بهذه الطريقة الى اعدائكم! اذا كنتم ترفضون العماد احترما لقرآنكم فيجب ان تعلموا ان بوسعكم ان تتظاهروا بكونكم مسيحين فتقبلوا العماد وتبقى قلوبكم مع محمد، وبذلك تتخلصون من الخطر الراهن الذي يواجهكم فترغمون على الاستسلام بقوة السلاح، ومن المخاطر المقبلة اذ تهيمون على وجوهكم في الارض))[١٢٥] وقد نقل هذه الحادثة الراهب الكرملي ماركوس دي غوارالاخار وهو من وادي الحجازة قرب مدريد وكان معاصرا للاحداث، ويضيف ماركوس ((لقد كانت هذه الكلمات من التاثير والقوة بحيث سارع القوم الى القاء اسلحتهم وقبول العماد، وبهذه الطريقة كان ما اخفقت في بلوغه المرسليات التبشيرية بمناقشة صادقة قائمة على الحق افلح في بلوغه هذا الرجل بمقترحات خاطئة مؤذية، ولايمكن تقدير ماسبب ذلك من ضرر، وماورث الكاثوليك الطيبين من اسى عندما سمعوا بالامر، ويكفي ان نقول ان المسلمين قد التزموا بجانبهم من الصفقة وان هذا الرجل لم يعد موضع احترم، وقد يشير هذا الى ان التنصير كان زائفا))[١٢٦]

من خلال النص الذي نقله ماركوس يتضح ان المسلمين في بلنسية قد القوا السلاح لاعتقادهم ان بامكانهم الاستمرار بممارسة الشعائر الاسلامية لكن هذه المرة بشكل سري ولا ضير من التظاهر بالمسيحية كما دعاهم اليه السيد النبيل طالما ان ذلك يحقق الهدف المرجو وهو استمرار المسلمين بالتمسك بالدين الاسلامي لذلك عد الراهب ماركوس هذا العمل بانه خطيئة لأنه وفر الغطاء لنشوء الاسلام السري في بلنسية وقد عزز المسلمون موقفهم هذا عندما وافق الملك وبضغط من النبلاء على مقترحاتهم القاضية بان يكونوا احرارا من ملاحقة محاكم التفتيش لمدة اربعين عاماً وان يسمح لهم باستعمال اللغة العربية وممارسة العادات الاسلامية لمدة عشر سنوات وكان ذلك في سنة (٩٣٥هـ/١٥٢٨م) وبذلك حصل مسلمو بلنسية على غطاء شرعي لممارسة الاسلام مرة اخرى ولمدة اربعين

سنة[١٢٧]واقتصر عمل رجال الدين المسيحيين خلال هذه المدة على نشر تعاليم الدين المسيحي بين المسلمين المنصرين حديثا وغالبا مايتم ذلك عن طريق الكنائس، اذ تعين كل كنيسة رجل دين متخصص لالقاء الوعظ يوم الاحد وفي ايام الاعياد بغية تعليم المسلمين العقيدة المسيحية وامتحانهم بها[١٢٨] وقد حاولت محاكم التفتيش في بلنسية التقليل من اهمية الاتفاق الذي عقد بين الملك والمسلمين المدجنين بتشجيع من اسيادهم النبلاء ويتضح ذلك جليا من خلال الخطاب الذي ارسله المحقق العام الى زملائه رجال الدين في بلنسية يحثهم فيه على الاسراع في تعليم المسلمين في بلنسية تعاليم الدين المسيحي ومراقبة مدى ايمانهم بتلك التعاليم ومما جاء في هذا الخطاب ((نحن دون الونسو، المفتش العام المكلف بتنصير المورو وادخالهم في ديننا الكاثوليكي بفضل الرب بمملكة ارغون بلنسية وقاتلونيا. نبشركم بالدور الرائد الذي تقوم به محاكم التفتيش تنصر بعض المورو بمحض ارادتهم حسب تعاليم الكنيسة لكن بعضهم تم استغفالهم والكذب عليهم من بعض المتلاعبين الذين اوهموهم بان الاتفاق صدر عن الملك وانه يمكنهم البقاء على دينهم لمدة اربعين سنة والاحتفال علانية بطقوسهم ومناسباتهم، ويعتبر هذا خرقا وتحدياً ويعرض كل من ارتكب ذلك الخطأ للعقاب الشديد والصارم، الا انه يمكن التساهل في البداية مع المتنصرين الجدد الى ان يعتنقوا ويتعلموا كلية كل مايتعلق بديننا الكاثوليكي وينقطعوا عن ممارساتهم المحمدية، وكل من عارض ذلك يتعرض لعقاب محاكم التفتيش، لقد تم اعلام كل من القضاء والفقهاء بهذه التدابير وكل من جاء عندنا للتفاوض بشان الاتفاق او المتنصرين الجدد، وحتى لا يدعي احد منهم الجهل بالعادات والممارسات المسيحية اعطى الملك اوامره لتعميم تعليمها والتعريف بها في جميع اوساطهم حتى يتم العمل بها واتباعها في هذه المدينة: بلنسية وباقي المدن والاماكن الاخرى وننهي هذا الاعلان بختمنا وتوقيع كاتب محكمة التفتيش المقدسة في بيوتنا بتاريخ ٢٢ من شهر اكتوبر سنة ١٥٢٨ لميلاد المسيح وبحضور كل الاساقفة مسؤولي الكنيسة، الدكتور سلدانيا والمفتش العام والكاتب خوانيس غرسيا)) [١٢٩]

ويشير هارفي[١٣٠] الى ان المسلمين في الاندلس استفادوا من مبدأ التقية، والتقية في اللغة اظهار شيء وابطان مايخالفه[١٣١] اما في الاصطلاح فيفيد تعليق المطالب الدينية عند الوقوع تحت الاكراه والتهديد بالاذى، وهذا ما اكده الطبري[١٣٢] حينما قال ((من حمل على امر يتكلم به وهو لله معصية فيتكلم به مخافة على نفسه، وقلبه مطمئن بالايمان، فلا اثم عليه)) وقد استند الطبري في تفسيره للمبدا التقية الى قوله تعالى ((من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم))[١٣٣] وقد ادى تبني مبدأ التقية من قبل المسلمين الى استمرارهم في الحفاظ على اخلاصهم للاسلام لمدة متأخرة من حياتهم في مدينة بلنسية وهذا ما اكده غريغوري دي ميرانده عندما سأله الملك فيليب الثاني عن وضع المسلمين المنصرين في بلنسية فاجاب قائلا ((ان الموريسكيين هم عرب مسلمون تماما كالجزائريين، وانهم يمارسون شعائرهم وعبادتهم علنا ولديهم كثير من المساجد، وانهم خونة لا يفكرون الا في الثورة حينما تسنح لهم الفرصة، وانهم يقبضون على النصارى، ويخفون القراصنة ويتعاونون مع الاتراك وانه من الضروري نزع سلاحهم، واعادة تنشئتهم على النصرانية)) [١٣٤]

وقد اكد لونغاس[١٣٥] هذه الحقيقة والتي لاتمثل حالة عامة، لان اغلب المدجنيين في بلنسية كان يمارسون الاسلام بشكل سري، مستفيدين من حماية النبلاء لهم الذين طالما كان يدافعون عنهم امام الملك، ولعل القصة التي اوردها لونغاس تبدو فريدة وملخص هذه القصة ان احد النبلاء المسيحيين واسمه سانشوا قام بزيارة اثنينا وهي من القرى التابعة الى مدينة بلنسية وكان يرافقه مجموعة من المدجنيين الذي يعملون لديه في المزارع، فرأى بناية متهدمة كانت بمثابة مسجد اعتاد المسلمون المدجنون ان يتجمعوا فيه في ايام محددة لاقامة شعائرهم، عندما سأل سانشوا عن نوع المبنى المتهدم اجابه المدجنون المرافقون له بانه مسجد، فاشكل عليهم تركهم له على هذه الحالة السيئة، فقال المدجنون

انهم لايجرؤن على ترميمة حتى لا يخالفوا القوانين الملكية، فامرهم سانشو بترميمه، وكانت النتيجة اعادة بناء المسجد واحاطتة بالاروقة اللازمة لممارسة شعيرتي الوضوء والصلاة الاسلاميتين، ويضيف لونغاس[١٣٦] ان سانشو سمح للمسلمين الذين يعيشون في قرية بتشي وهي مكان اقامته بممارسة الشعائر الاسلامية بحرية تامة حالهم في ذلك حال مسلمي الجزائر، اذ كان لديهم مبنى مخصص لاقامة الشعائر الاسلامية وقد نسب الى السيد سانشو محاولتة القيام بارسال وفد الى روما يتكون من شخصيات مهمة لاعلام البابا بأن مسلمي بلنسية، قد عمدوا قسرا حتى يقرر لهم البابا حرية العيش كما يحلو لهم، واذا فشلت مساعية كان يزمع الكتابة الى سلطان تركيا حتى يكتب الى البابا والى ملك اسبانيا رسائل يستنكر فيها الاسلوب المتبع مع مسلمي بلنسية فيما يتعلق بأمور الدين.

اما الفرائض الدينية التي حافظ عليها المدجنون سواء كان ذلك في بلنسية او في المناطق الاخرى فلحسن الحظ ان هذه الفرائض اصبحت معروفة لدينا بفضل الدراسة التي قام بها بدور لونغاس والخاص بالحياة الدينية للمسلمين وقد ترجمة هذه الدراسة الى اللغة العربية بجهود المركز القومي للترجمة في مصر، واصبح بامكان اي باحث عربي ان يطلع عليها دون ان يكلفه ذلك عناء الترجمة، ويبدو ان الفرائض الدينية التي واظب المسلمون عليها لا تختلف كثير عن مثيلاتها في العالم الاسلامي باستثناء بعض التغيرات التي طرات عليها بسبب انقطاع المدجنين عن ابناء جلدتهم المسلمين في المغرب العربي، وقد اعتمد لونغاس في دراسته على مخطوطات الالخميادو الموجودة في اسبانيا، اذ انتشرت كتابات الالخمياد بشكل واسع في القرن السادس العشر وقد ذكرنا فيما مر انفا ان هذا الادب والذي يدور معظمه حول قضايا دينية كان مكتوب باللغة الاسبانية ولكن بحروف عربية، ولعل ابرز المخطوطات الدينية التي ظهرت خلال القرن السادس عشر هي كتاب الموجز في السنة لمؤلفه ايثه[١٣٧] وقد كتب هذا الكتاب بلغة الالخميادو وكان يتضمن تعليمات سرية للمسلمين من اجل الحفاظ على عقيدتهم الاسلامية ومن ضمن التعليمات التي وردت في هذا الكتاب على سبيل المثال لا سبيل الحصر نذكر:

١- حافظ على نظافتك في الاوقات جميعا بالوضوء والتطهير، وحافظ على الصلوات الخمسة في مواقيتها.

٢- لاتعبد الا الذي خلقك وحده، من دون ان تجد له شبيها ولانظيرا وكرم محمد السعيد الذي اصطفاه[١٣٨]

٣- لا تتبع مسالك المسيحيين وعاداتهم، ولاتقلدهم في ملابسهم او تتشبه بهم او باولئك الخطاة، لتنجو من عذاب السعير.

٤- آتِ الزكاة، صم رمضان المبارك، ادِّ فريضة الحج.

٥-لا تأكل لحم الخنزير او لحم الميت او الدم او اية ذبيحة مشكوكا في طريقة ذبحها وما أهلّ لغير الله[١٣٩]

ومن الكتب الاخرى التي ظهرت في القرن السادس عشر بلغة الالخميادو هو كتاب مانثيبو (دي اريفالو) وقد استفاد الاخير من كتاب اثيه، ويذكر هارفي[١٤٠] ان (دي اريفالو) انجز كتابه بالاشتراك مع فقيه من ارغون اسمه (باراي دي ريمنكو) وقد تضمن الكتاب وصفا لمناقشات المسلمين السرية حول معاناتهم ومحنهم، او عن ما استجد من مشكلات علوم الدين الاسلامي ويذكر لونغاس[١٤١] ان المدجنين في بلنسية استمروا باقامة الشعائر الاسلامية سرا وعلنا، اذا كانوا يجرون عمليات الختان لابنائهم حديثي الولادة، وكانوا يطلقون عليهم اسماء اسلامية وكانوا لا يتركون العمل ايام الاعياد وكانوا بصفة عامة يحتقرون الشعائر المسيحية، فكانوا يعقدون الزواج طبقا لدينهم وعاداتهم وكانوا يدفنون الموتى طبقا لطقوسهم وكانوا يدعون المسيحيون القدماء الى اعتناق الاسلام، وكانوا يذبحون الماشية وهي متجه الى القبلة، وبصفة خاصة كانوا يقيمون الصلاة والوضوء وصيام شهر رمضان.

ويضيف دومينغيث[١٤٢] ان الصلاة ظلت تؤدى الى وقت متأخر من وجودهم في اسبانيا فضلا عن ذلك فقد استمر المدجنيين بتداول كتب الصلاة وبطريقة سرية وكانوا شديدي المحافظة على طهارتهم، اما بالنسبة للحج وعلى الرغم من كونه اصعب الفروض لانقطاع المسلمين المدجنيين عن دار الاسلام، فان هنالك اشارت تدل على قيام بعض المدجنيين بزيارة الاماكن المقدسة في الحجاز اذ وجدت في ارغون مخطوطة تعود الى القرن السادس عشر تتحدث عن قصة حج قام بها مسلم من ارغون يدعى لبوى مونثون وكانت هذه المخطوطة تحت عنوان (قصائد رحلة حج لبوى مونثون).

مما تقدم يتضح ان المدجنيين قد استمروا في اداء الواجبات الدينية التي يفرضها عليهم الاسلام وبشكل سري ومن خلال اطلاعنا على كتاب لونغاس الخاص بالحياة الدينية للمدجنيين لم نجد فرقا كبيرا بين الواجبات الدينية التي يؤديها المدجن في بلنسية ونظيره المسلم في البلدان الاسلامية الاخرى فصلاة الظهر تتكون من اربع ركع، وصوم رمضان يبدأ عند رؤية الهلال والحج فرض على من استطاع اليه سبيلا[١٤٣] وقد اضاف المسلمون المدجنون للعبادات الانفة الذكر بعض الجزيئيات التي لاتخل بالشكل العام، فالمسلم المنصر كان لايفطر بعد غروب الشمس مباشرة كما تقضي السنة بل كان ينتظر حتى ظهور النجوم في السماء[١٤٤] وربما يكون ذلك اجتهادا من قبل الفقهاء اما بالنسبة للصلاة فقد اضاف المسلمون المدجنون للصلاة الاعتيادية صلاة تؤدى بين وقتي الظهر والعصر في يوم عاشوراء من شهر محرم وتتكون هذه الصلاة من اربع ركع يسبقها طهور ووضوء، في كل ركعة كانوا يقرؤن سورة الفاتحة مرة وسورة الاخلاص خمسين مرة مع تسليمين فضلا عن صلوات اخرى كصلاة وداع رمضان وصلاة خاصة بالمولد النبوي الشريف[١٤٥].

وكان على المدجن ان يؤدي في شهر رجب ثلاثين ركعة، عشر ركعات في اوله، وعشرة في نصفه، وعشرة في اخره[١٤٦] وفي الليلة التي تسبق اليوم الخامس عشر من شعبان كانت تؤدي صلاة (الخير) وهي تتكون من مائة ركعة يسلم بعد كل ركعتين فيها، تُقرأ في كل ركعة منها سورة الفاتحة مرة واحدة وسورة الاخلاص عشر مرات بعد التسليمة الاخيرة، وقبل النهوض يجب ان يردد المسلم جملة ((لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم)) سبعين مرة[١٤٧]

ومن الامور الاخرى التي اضافها المدجنون للشعائر الدينية الاسلامية هو نوع من الصيام يسمى صيام التطوع اذ يصوم المدجن ستة ايام بعد انقضاء عيد الفطر المبارك وتسمى هذه الايام بـ(الايام البيض) وكانوا يعتقدون ان ثواب صيام هذه الايام يفوق صيام رمضان نفسه، كذلك اعتاد الفقهاء المدجنون على صيام بعض الايام خلال الاسبوع على مدار العام كله، فقد عرف عن اثنين من الفقهاء المدجنيين من قرية كوفرنتي التابعة لبلنسية انهم تعودا على صيام ثلاثة ايام من كل اسبوع طول السنة بالاضافة الى شهر رمضان[١٤٨]، ومن انواع الصيام الاخرى التي ابتدعها المدجنون هو صيام العقوبة او صيام الصابرين وهو عبارة عن الامتناع عن الاكل لثلاثة ايام بلياليها وكان هذا النوع من الصيام يفرض كعقوبة على جرائم فظيعة، وكان المدجنون يعتقدون ان المعاقب اذا عاش بعد هذه الايام الثلاثة يكون ذنبه قد غفر، اما اذا مات في هذه الفترة فهو يذهب مباشرة الى جهنم، لانه لم يتطهر من ذنبه ولم يغفر له[١٤٩]

مما تقدم يتضح أن المدجنيين في بلنسية كانوا شديدي التمسك بالدين الاسلامي الذي اعتادوا على ممارسة بحرية في مرحلة الدجن، وأن الكثير من القرارت التي صدرت عن السلطات المسيحية في ارغون بعد سنة (٩٣٢هـ/١٥٢٥م) بقيت حبراً على ورق لأن المسلمين في بلنسية قد كيفوا انفسهم لحياة جديدة يمارسون فيها الاسلام بشكل سري مستفيدين من فتوى فقهاء المغرب العربي والتي اجازت لهم التظاهر بالمسيحية عند الضرورة.

المبحث الثاني: الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمدجنين في بلنسية.

أولاً: الحياة الاجتماعية

على الرغم من قلة النصوص التاريخية التي تناولت الحياة الاجتماعية للمدجنين في بلنسية لعدم اهتمام المؤرخين العرب والاسبان بتاريخ هذه الفئة الاجتماعية، وقد وضحنا اسباب ذلك في مقدمة البحث، إلا أن ذلك لا يعني ان نبقى مكتوفي الايدي اتجاه النقص الواضح في المعلومات الخاصة بتاريخ المسلمين في بلنسية في مرحلة الدجن والتي امتدت لقرابة الثلاث قرون، وبما ان العادات والتقاليد الخاصة بمختلف المجتمعات لا تتعرض الى تغيرات كبيرة بحكم انها تمثل ثقافة مجتمع وفي ضوء هذه الفرضية تسنى لنا ان نميط اللثام عن الكثير من العادات والتقاليد الاجتماعية الخاصة بالمجتمع البلنسي قي مرحلة الدجن، وقد اعتمدنا في معلوماتنا على بعض النصوص التاريخية المتأخرة نسبياً عن مدة البحث لاسيما تلك النصوص التي تناولت الحياة الخاصة بالمسلمين في المدينة المذكورة بعد صدور قرار التنصير سنة (٩٣٢هـ/١٥٢٥م) وأغلب هذه النصوص كانت على درجة كبيرة من الاهمية[١٥٠].

ومن الجدير بالذكر ان المصادر الاسبانية لم تطرح المعلومات الخاصة بالحياة الاجتماعية للمدجنين في بلنسية بهدف التأريخ لهذه الفئة الاجتماعية وانما كان الهدف من ذلك هو تنبه السلطة الحاكمة الى خطر استمرار المسلمين بممارسة العادات والتقاليد الاسلامية سراً بعد ان اصبحوا مسيحيين من وجهة نظر الكنيسة الاسبانية[١٥١] وبذلك قدمت هذه المصادر ومن دون قصد مادة تأريخية مهمة عن الحياة الاجتماعية للمدجنين استطعنا توضيفها بالشكل المناسب لخدمة البحث.

- الاعياد والاحتفالات

لقد مثلت الاعياد الاسلامية بالنسبة للمدجنين مظهراً من مظاهر الارتباط بالاسلام والبقاء على العادات والتقاليد الاسلامية ومن ابرز الاعياد التي احتفل بها مسلموا بلنسية هو عيد الفطر المبارك وموعده في نهاية شهر رمضان ويسمى عند المسلمين المدجنين (الاغيث اصاغير) اي العيد الصغير[١٥٢] وتتركز اهميته في اعمال البر التي تتجلى بالتصدق على الفقراء ويحتفل بهذا العيد لمدة ثلاثة ايام، اما العيد الثاني فهو عيد الاضحى الذي يسميه المسلمون المدجنون (اهيف الكفير) اي العيد الكبير، وكان يطلق عليه المسيحيون عيد الخروف حيث تذبح فيه الخراف احياء لذكرى تضحية ابراهيم بابنه اسماعيل[١٥٣] وقد تطرقت احدى المخطوطات المورسيكية الى تفاصيل هذا العيد والاسباب الموجبة له فضلا عن تحديد انواع الاضاحي التي يستحسن ذبحها[١٥٤].

في حين اطلق على العيد الثالث عيد (اللاثورة) اي عيد عاشوراء وهو يوم الانبياء ويتم الاحتفال به وصومه ثم بعد ذلك بثلاثة اشهر يتم الاحتفال بيوم التوسعة، اذ يذكر دومينغيث[١٥٥] انه لايعرف شيء عن هذا العيد ولاسبب الاحتفال به ويضيف بان يوم الجمعة كان من الايام التي يحتفل بها المسلمون ايضا، اذ توزع الصدقات ويتوجه المسلمون المدجنون للصلاة بقيادة الفقيه او الزعيم الروحي لهم، كما اعتادوا في مثل هذا اليوم على الاهتمام بامور الطهارة والاجتماع على موائد الطعام.

ومن المناسبات الاخرى التي يحتفل بها المسلمون المدجنون هي ايام الميلاد والزواج وبذلك يقول دومينغيث[١٥٦] ((اما بالنسبة للميلاد فالعادات المهمة هي الفضض ويعني ذلك ان يوهب الطفل لله، وعندما يكمل اسبوعا يرسل من اجل تطهيره ويكتبون على جبهته بعض الكلمات ويعلقون في رقبته الاحجبة التي تتضمن ايات قرانية ويسمى باسم اسلامي. ويذبح بهذه المناسبة ذبيحة، ويضاف الى هذه العادات الختان الذي يجرى في اليوم التاسع، ثم اجل فيما بعد حتى وصل الى العام التاسع)).

اما مراسيم الزواج بالنسبة لمسلمي بلنسية فقد نقل لنا لونغاس[١٥٧] قصة زواج مسلم منصر في بلنسية اذ يذكر تفاصيل هذه القصة بقوله ((بعد ان تناول العريس طعام الغداء في الساعة الثالثة تقريبا توجه الى الحمام الذي يبعد عن القرية مسافة قوس تقريبا فتبلل واغتسل كما يقولون. بعد ذلك ذهب بعض الرجال والنساء والاطفال من القرية لاخراجه من الحمام في احتفال، واحضروه حتى ساحة القرية، ووضعوه على لوحة مستديرة لها ثلاث ارجل.. وجلست النساء حولها على كراسي، وقامت احداهن بخلع غطاء رأسه والثانية خلعت عنه الكوفية وقامت امه بتمشيط شعره وصب ماء الورد... تناولوا بعد ذلك العشاء واكلوا جديا او اثنين، ويقولون انهم ذبحوها وهما متوجهان الى القبلة، وبعد العشاء حملوا العريس بالشموع في احتفال وطبول الى الساحة، وكان في الساحة كرسي تزينه اغصان الغار، واجلسوا العريس على الكرسي كما لو كان سيحلق وقصوا لحيته،ثم ظل جالسا على الكرسي.. وصب عليه الحلاق ماء الورد. وبعد ذلك قدم عليه الرجال واحدا واحدا او اثنين اثنين كل منهم يضع عملات نقدية على وجه العريس او جبهته او عينه او فمه، وهكذا فعل كل الموجودين ثم فعلت النساء مثل ذلك، ثم حملوه الى بيت العروس وكانت العروس جالسة على وسادتين وعلى جنبها امراة تحمل شمعة متقدة وعلى جانبها الاخر امراة اخرى وكانت العروس جامدة لاتحرك يدها ولا قدمها ولاعيناها كما لو كانت حجرا، ثم اعطوا العروس شرابا من العسل والفلفل والماء... كان البيت مفروشا بالوسائد والقمصان واشياء اخرى جميلة، وكانت النساء الاخريات ترقصن وفقا لعادتهم المورسيكية)) ويضيف دومنغيث[١٥٨] ان العروس يجب ان تضع وردة ملونة على رأسها وتدخل بيت زوجها بقدمها اليمنى.

كذلك احتفل المسلمون المدجنون بالاعياد المسيحية كعيد ميلاد السيد المسيح وعيد العنصرة وعيد سان خوان وغيرها من الاعياد[١٥٩] اذ ورث المدجنون هذه الظاهره من الحقبة الاسلامية، اذ كان المسلمون يحتفلون بالاعياد المسيحية منذ عصر الخلافة في الاندلس، ويعزو العزفي[١٦٠] سبب انتشار الظاهره المذكورة الى الاختلاط بين المسلمين والنصارى من خلال الزواج من الاسبانيات ((ان من اعظم اسباب هذه البدعة واقوى دواعيها مطاوعة الرجال للنساء على الاستعداد لها والتفخيم لشانها وانقيادهم لهن في ذلك عاما بعد عام حتى رسخت في صدورهم وتصورت في عقولهم وتاقت اليها انفسهم، وقد نبأنا القرآن بما امتحن الله به ادم (عليه السلام) لما اطاع حوراء زوجته على اكل الشجرة)).

ومن الجدير بالذكر ان السلطات المسيحية قد حرمت على المسلمين المدجنين الاحتفال بالاعياد الاسلامية، تعينها على الوضع فضلا عن ذلك فقد تضمن القرار الزام المسلمين المنصرين بترك اذ اصدر الملك شارل الاول في سنة (٩٣٣هـ/١٥٢٦م) مرسوم يقضي بمنع المسلمين من الاحتفال بالاعياد والمناسبات الاسلامية كما يحتم على كل مسلمة حامل ان تحضر قابلة مسيحية ابواب منازلهم مفتوحة في ايام الاعياد والجمعة والسبت كما يمنعون من تسمية ابنائهم باسماء عربية.[١٦١]

– اللغة العربية عند المسلمين المدجنين

على الرغم من سقوط مدينة بلنسية منذ وقت مبكر وبالتحديد منذ عام (٦٣٦هـ/١٢٣٨م) الا ان اللغة العربية قد استمرت في الوجود في المدينة المذكورة الى ان تم طرد المسلمين من الاندلس في حدود (١٠١٧هـ/١٦٠٩م) وهذا ما اكده هارفي[١٦٢] اذ ذكر بان اللغة العربية في بلنسية بقيت لغة حية على الرغم مما كان يشوبها على مستويات لغوية عديدة مادخل عليها من لغة الرومانس. ويبدو ان سبب إستمرار استخدام اللغة العربية في هذه المدينة هو انها كانت تضم تجمعات سكانية كبيرة قياس بمناطق الاندلس الاخرى[١٦٣].

وقد اكد الحسن الوزان[١٦٤] على استمرار استخدام اللغة العربية في بلنسية وذلك حينما زار مدينة تونس في سنة (٩٢١هـ/١٥١٥م) اذ قال ((ونزلت ضيفا عند السفير الذي بعث به الى اسبانيا وعاد حاملا معه زهاء ثلاث الاف مخطوط عربي اشتراها من شاطبة احدى مدن مملكة بلنسية))، وعلى الرغم من ان الملك شارل الاول اصدر قرارا في سنة (٩٣٣هـ/١٥٢٦م) حرم فيه التخاطب باللغة العربية او الكتابة بها او استخدامها في العقود والمعاملات، الا ان المسلمين المدجنين في بلنسية استطاعوا الالتفاف على هذا القرار، اذ ارسل سكان المدنية المذكوره وفدا الى الملك شارل الاول يطلبون فيه السماح لهم بالاستمرار باستخدام اللغة العربية، فوافق الملك على السماح لهم باستخدام العربية لمدة عشرة اعوام[١٦٥]

وعلى الرغم من القرارات الكثيرة التي اصدرتها السلطات المسيحية في بلنسية والتي ترمي الى منع المسلمين في المدينة المذكوره من التعامل باللغة العربية، إلا ان المؤشرات تشير الى استمرار مسلمي بلنسية بالتخاطب باللغة العربية حتى طردهم من اسبانيا وهذا ما اكده الحجري[١٦٦] وهو مؤلف مسلم دون اخباره عن المسلمين المنصرين بعد الطرد بثلاثين عاما، اذ اشار الى ان اللغة العربية ظلت مستخدمة في بلنسية حتى الطرد، وذكر ان في زيارته لغرناطة سنة (١٠٢٠هـ/١٦١١م) عرض عليه احد القسيسين قراءة رق عثر عليه في احد جبال غرناطة يعتقد انه من المخلفات المسيحية التي تعود الى القرن الاول للميلاد وكان مكتوبا باللغة العربية، فسأله القس عن المصدر الذي تعلم منه العربية فاجابه الحجري بانه رجل اندلسي من الجبل الاحمر تعلم اللغة العربية على يد طبيب اندلسي من اهل بلنسية، وظل القس يسأل عن الطبيب الاندلسي فاجابه الحجري بانه مات بنحو السنتين او الثلاثة، ويختم الحجري الحديث بان ((القراءة بالعربية لاهل بلنسية مباحة في غير دين الاسلام وممنوعه لسائر اهل بلاد الاندلس)) اما اللغة الالخميادو التي انتشرت في القرن السادس عشر الميلادي في الاندلس فيبدو انها كانت موجهه في البداية الى المسلمين المدجنين الذين يعيشون بين اكثرية مسيحية لأنهم فقدوا لغتهم وكثير من عادتهم بمرور الوقت وتاثروا بجيرانهم المسيحيين وتعلموا لغتهم الا انهم ظلوا متعلقين بماضيهم وبالنسبة لهم كان الخط العربي مصاحبا للاسلام ولهذا فانهم كانوا يكتبون بحروفة ولكن باللغة القشتالية التي كانوا يجيدونها اكثر من العربية، ثم ان هذه اللغة (اللخميادو) انتشرت بعد ذلك بين المسلمين المنصرين عموما خاصة في الثلث الاخير من القرن السادس عشر، اذ استخدمت هذه اللغة الى جانب اللغة العربية في المناطق ذات الاكثرية المسلمة ولا سيما بلنسية[١٦٧] وهذا ما اكده هارفي[١٦٨] حينما قال ((فحتى عام ١٥٧٠م، كان التنوع بين المسلمين في مختلف اصقاع شبة الجزيرة مسألة ملحوظة لذا يجب النظر الى تاريخ الممالك المختلفة وثقافتها على انها ظواهر معقدة ومنفصلة وبعد عام ١٥٧٠م لم تمح جميع الفوارق الاقليمية وبقيت بلنسية بشكل خاص، وهي اخر جماعة كبيرة تتكلم العربية على الارض الاسبانية، تشكل حالة مستقلة، ولكن بعد عام ١٥٧٠م بوسعنا الحديث عن مشكلة مورسيكية واحدة)).

- الازياء عند المسلمين المدجنين في بلنسية.

على الرغم من عدم امتلاكنا معلومات كافية عن الازياء الاسلامية في مدينة بلنسية الا اننا يمكن ان نستنتج ان الازياء في هذه المدينة كانت امتدادا لما كان عليه الحال في العصر الاسلامي مع بعض التأثر بالازياء المسيحية اذ كان الرجال والنساء يرتدون اقمصة مصنوعة من الكتان والقطن تليها سراويل طويلة وضيقة لا تتجاوز الركبة وتربط السراويل باحزمة لتثبيتها وكان هذا النوع من الالبسة يستخدم في فصل الصيف اما في فصل الشتاء فكانوا يلبسون اقبيه ثقيلة محشوة بالقطن او حللا من افرية الخراف والارانب[١٦٩].

وفيما يتعلق بكسوة الاقدام والسيقان فكانت تتخذ الجواريب الصوفية الطويلة لكسوة الساق حتى اعلى الركبتين ثم ينتعلون نعالا من الجلد مبطنة باللباد وذلك في فصل الشتاء، اما في فصل الصيف فيتخذون نعالا من الخشب او الحلفاء مزودة بمشبك[١٧٠] اما غطاء الرأس فيذكر المقري[١٧١] ان اهل بلنسية وشرق الاندلس امتازوا بترك العمائم وغالبا ماكانوا حاسري الرأس ((واما زي اهل الاندلس فالغالب عليه ترك العمائم، لاسيما في شرق الاندلس)) ومن المعلوم ان المقري كان يتحدث عن مسلمي بلنسية في العصر الاسلامي اما بعد خضوعهم للحكم الارغوني فان هنالك اشارات كثيرة تدل على انهم كانوا يضعون على رؤوسهم القبعات كما يفعل المسيحيون، اذ يذكر كارديك[١٧٢] في سياق حديثة عن تعميد المسلمين في بلنسية سنة (٩٣٢هـ/١٥٢٥م) ان الملك شارل الاول امر بتمييز المسلمين المنصرين في المدينة المذكورة عن المسيحيين بان توضع على قباعتهم علامات خاصة بهم وهي عبارة عن قطعة قماش زرقاء اللون على شكل نصف هلال وبحجم برتقالة.

اما النساء فغالبا ماتكون ملابسهن من اقمشة فاخرة جدا موشاة بالذهب لزوجات الاثرياء واقمشة اقل جودة مثل القطن بالنسبة لزوجات الحرفيين الاندلسيين[١٧٣]. ومن الجدير بالذكر ان ملابس المسلمين المدجنين في بلنسية والتي تعود الى اصول اسلامية قد تعرضت الى المنع بعد تنصير المسلمين في هذه المدينة اذ تضمن قرار التنصير الذي اصدره الملك شارل الاول فقرة تخص الملابس الاسلامية، الا ان بعض اغنياء بلنسية استطاعوا اقناع الملك بغض النظر عن هذه الملابس لمدة اربعين عاماً[١٧٤].

وتشير راشيل اريه[١٧٥] الى ان النساء المسلمات في بلنسية كن يرتدين الصايات ذات الالوان الغامقة، وكن يغطين وجوههن بالحجاب، الا ان ذلك لم يستمر طويلا بسبب قرارات المنع المتوالية بحق ملابس المسلمين المدجنين، فهنالك اشارات تدل على ان النساء في بلنسية كن يرتدين عند الخروج المعاطف والقبعات مع كشف وجوههن[١٧٦].

وقد احتفظت المناطق الريفية بالازياء الاسلامية الى مدة متاخرة من الوجود الاسلامي في الاندلس، اذ ان ((الحياة الاجتماعية ظلت متاثرة تاثرا جوهريا بالحياة الاسبانية الاسلامية فقد ظلت الريفيات محجبات عدة قرون)) [١٧٧]

في الختام يمكن القول ان المسلمين المدجنين في بلنسية قد نجحوا في الحفاظ على الازياء الاسلامية التي ورثوها عن اسلافهم المسلمين مع بعض التاثر بالازياء المسيحية، ومما يؤكد ماذهبنا اليه هو استمرار السلطات الحاكمة في بلنسية باصدار القرارات الخاصة بمنع الملابس الاسلامية الى وقت متأخر من وجود المسلمين في المدينة المذكورة[١٧٨].

– الاطعمة وطريقة الاكل.

ان جميع العادات الاجتماعية التي مارسها المسلمون في بلنسية كانت تعد مظهرا من مظاهر ارتباطهم بالاسلام كما تدل على انتمائهم القومي، لاسيما ما يتعلق بنوع الاطعمة التي يتناولونها اذ كان المسلمون المدجنون شديدي الحرص على عدم تناول الاطعمة التي حرمها الاسلام، والتي اوجزها دومينغيث[١٧٩] بثلاثة انواع هي لحم الخنزير وشرب الخمر، ولحم الحيوان الذي ذبح والذي لم يذكر اسم الله عليه او ذبح على غير الطريقة الشرعية، ويضيف لونغاس[١٨٠] الى ذلك لحوم الدواب والوحوش الضارية كالخيل والحمير والبغال والقطط والثعالب والميتة والطعام المستخدم كقربان في احتفالات دين غير الاسلام، أما أنواع الاطعمة التي كانت يتناولها المدجنون في بلنسية والتي ورثوها عن اسلافهم العرب هي وجبة من الطعام كانت تسمى الخليع يصفها دومينغيث[١٨١] بانها ((لحم يصنعه

المسلمون لكي يستعملوه في كل وجبة كما يستخدم المسيحيون لحم الخنزير وهو يؤكل مع خبز ساخن في الصباح كما يؤكل الزبد، ويؤكل في اي وقت وفي اي يوم من العام، ويصنع الخليع بالطريقة الاتية: ياخذ المسلمون لحم اي ماشية كانت وينزعون عنه العظم، ويصنعون منه شرائح مملحة ثم تجفف، وبعد ان تجف يصنعون منها شرائح ثم يطبخونها ثم تقلى الشرائح في اناء، واذا كانت الشرائح رقيقة يضعون دهنا، وبعد ان تقلى الشرائح يضعون دهنا حسب كمية اللحم وتكون كمية الدهن ضعف كمية اللحم، ثم يضعون كل ذلك في اناء ليبرد ثم يحفظونه لكي ياكلوا منه على مدار السنة، ويقال ان هذا الخليع لايصنع كاحتفال اسلامي وانما كمخزون طعام كالخنزير واللحم المقدد بالنسبة لنا))

فضلاً عن ان هنالك وجبة اخرى من الطعام كانت تصنع في المناسبات وسائر الايام الاخرى كانت تسمى وجبة الكسكو[١٨٢] والتي عرفت في المغرب والاندلس منذ ايام الموحدين، وانتشرت بين المغاربة والمسلمين في الاندلس[١٨٣] ويعلق كارديك[١٨٤] على هذا النوع من الطعام الذي يتناوله المسلمون المدجنون بقوله ((تجدهم متربيعن وواضعين الكسكي في اناء وسطهم ليأكلوه بأيديهم على شكل كرات حسب عادة العرب، وهم بهذا يداومون على اتباع حفلات دين محمد)).

من خلال القراءة المتأنية للنصوص التاريخية الآنفة الذكر يتضح لنا استمرار المسلمين في بلنسية بتناول بعض الاطعمة التي كانت لها صلة بعادات وتقاليد العرب والمسموح بها من قبل الشرع الاسلامي وامتناعهم عن تناول بعض الاطعمة ذات الصلة بالعادات والتقاليد المسيحية والتي يرفضها الشرع الاسلامي مما عرض المسلمين الى الملاحقة من قبل محاكم التفتيش الاسباني. لان قبول نوع معين من الطعام والامتناع عن نوع اخر كان دليلاً كافياً لمحاكم التفتيش الآنفة الذكر للتأكد من أن المسلمين لازالوا يمارسون شعائر الاسلام بشكل سري وأن قبولهم للديانة المسيحية هو أمر شكلي زائف.

-النظافة والحمامات

ان اهتمام المسلمين بنظافة ابدانهم واجب ديني املته عليهم الشريعة الاسلامية فنظافة الجسد ضرورية لاداء الواجبات الدينية، اذ كان على المسلم ان يقوم بالوضوء قبل كل صلاة من الصلوات الخمسة[١٨٥] وبذلك قال المقري[١٨٦] في وصفه لنظافة اهل الاندلس ((واهل الاندلس اشد خلق الله اعتناء بنظافة مايلبسون ومايفرشون، وغير ذلك مما يتعلق بهم، وفيهم من لايكون عنده الا مايقوته يومه، فيطويه صائما ويبتاع صابونا يغسل به ثيابه، ولايظهر فيها ساعة على حالة تنبو العين عنها)).

ومن الجدير بالذكر ان عادة الاستحمام كانت محرمة في اسبانيا في العصور الوسطى وينظر اليها على انها عادة وثنية لايجب ممارستها[١٨٧] اذ يذكر احد الباحثين[١٨٨] ((ان راهبة دونت في بعض مذكراتها في صلف وعجب انها الى سن الستين لم يمس منها الماء الا اناملها عندما كانت تغمسها في ماء الكنيسة المقدس)) وبذلك كانت القذارة من مميزات القداسة عند المسيحيين في القرون الوسطى اذ اهملت نظافة البدن تماما بعد انقراض الدولة الرومانية التي كانت تهتم باقامة الحمامات والعناية بالنظافة العامة، اما في العصر الاسلامي فقد اشتهرت الاندلس بكثرة حماماتها ونظافة اهلها، وكان بناء الحمامات صفة ملازمة لتخطيط المدن في الاندلس، اذ شهدت مدينة قرطبة لوحدها بناء واحد وعشرون حماما موزعا على ارباضها المختلفة[١٨٩] وتشير اريه[١٩٠] ان عدد الحمامات في قرطبة في العصر الاسلامي اخذ بالازدياد الى ان وصل الى (٦٠٠) حمام ولم يكن الاستحمام مقتصرا على الرجال، بل شاركت النساء بفاعلية

بارتياد الحمامات وكان حضورهن مقصور على المساء، لأن الصباح من حصة الرجال، وكان الذهاب الى الحمامات بالنسبة للنساء فرصة لهن لكي يلتقين بصديقاتهن.

استمرت عادت الاستحمام في الاندلس طيلة العصر الاسلامي واخذت تلقي بظلالها على المسيحيين الاسبان اذ تشير هونغه[١٩١] الى ان التأثير العربي الاسلامي في مجال النظافة والاعتناء بالصحة لم يكن مقتصرا على جيرانهم المسيحيين الاسبان، بل تعدى ذلك ليشمل بعض الدول الاوربية التي اقتبست هذه الظاهرة عن طريق المسافرين من اسبانيا، وتضيف اريه[١٩٢] ان التاثير العربي الاسلامي كان واضحا في مجال بناء الحمامات في اسبانيا.

بعد سقوط غرناطة بيد الاسبان سنة (٨٩٧هـ/١٤٩٢م) اخذت ظاهرة الاستحمام تختفي رويدا رويدا بين المسيحيين الذين اخذوا بالتراجع عن ظاهرة الاستحمام والنظافة، وعدوا هذا التقليد عادة وثنية ومدعاة للتخنث لان العفة عندهم تقاس بدرجة القذارة وترك الاستحمام، لذلك نجد ان الملكه ايزابيلا التي عاصرت سقوط غرناطة تفتخر بانها لم تغسل قدميها الا مرة واحدة في الشهر وهي لم تستحم بحياتها الا يوم ولادتها ويوم زواجها[١٩٣] وقد انعكس ذلك بصورة سلبيه على المسلمين في الاندلس اذ منعوا من ارتياد الحمامات لانها تذكرهم بعاداتهم الاسلامية فضلا عن ذلك فقد تعرضت الحمامات العامة في غرناطة الى الحرق وحول بعضها الى مخازن ومتاجر، اما في بلنسية فقد تاخر تحريم الحمامات الى سنة (٩٣٩هـ/١٥٣٢م) اذ صدر قرار يحرم على المسلمين المدجنين دخول الحمامات الا في اوقات محددة، كذلك حرم عليهم ترميم ابنيتها بحجة الخوف من اتخاذ المسلمين لهذه الحمامات اماكن لممارسة الشعائر الاسلامية[١٩٤] ومن العادات الاخرى التي حرص المسلمون المدجنون على الحفاظ عليها هي عادة تغسيل الميت وتكفينه وهذه العادة ورثها المسلمون المدجنون عن اسلافهم المسلمين وقد انتقلت هذه العادة الى المسيحيين الاسبان بحكم جوارهم للمسلمين[١٩٥] فمنذ اللحظة الاولى لوفاة المسلم لايستطيع احد ان يلمس الجثة الا بعد نطق الدعاء (اللهم اغفر لي) ثلاث مرات، وبعد ذلك يغسل الميت كما يغتسل الحي بالوضوء[١٩٦]، إلا أن الدفن على الطريقة الاسلامية بالنسبة للمدجنين في بلنسية قد تعرض هو الاخر الى التحريم من قبل السلطات المسيحية بعد صدور قرار تنصير مسلمي بلنسية، إذ عد هذا الامر دليلاً كافياً على ارتباط المسلمين المنصرين بدينهم الاسلامي، لذلك صدرت العديد من القرارات التي تحرم على المسلمين الدفن وفق الطريقة الاسلامية[١٩٧]

ثانياً: الحياة الاقتصادية للمدجنين في بلنسية.

– الزراعة

ان ما قدمه العلماء الاندلسيون في مجال الزراعة وعلم النبات من انجازات كبيرة وعلى مدى قرون طويلة قد ترك اثره لدى الاندلسيين الذين عرفوا كيف يستغلون ما وهبتهم الطبيعة من تربة خصبة ومناخ مناسب وخبرة نظرية وتطبيقية توارثها الابناء عن الاباء وقد مارس هؤلاء الفلاحة استنادا لاسس علمية دقيقة وضع لبناتها علماء اندلسيون مزجوا بين النظرية والتطبيق واستطاعوا ان يبدعوا في هذا الميدان مؤسيين ماعرف فيما بعد بالمدرسة الاندلسية الزراعية منذ القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ابتدء بعريب بن سعد صاحب كتاب تقويم قرطبة الذي ضمنه الكثير من المعلومات الزراعية ومرورا بعلماء الزراعة ابن وافد، وابن بصال، وابو الخير الاشبيلي، وابن العوام الذي ألف ارجوزه في علم الزراعة سماها (قصيدة الاندلس الزراعية) تضمنت معارف زراعية مختلفة استقاها ممن سبقه من علماء الزراعة[١٩٨]

ان الخبرة الزراعية المتراكمة التي ورثها المسلمون المدجنون في بلنسية عن اسلافهم المسلمين جعلتهم يحتكرون هذه المهنة وهذا ماكده ميرسون[١٩٩] اذ ذكر ان معظم المدجنين في بلنسية سواء كانوا اغنياء او فقراء قد

امتهنوا الزراعة او بعض النشاطات المرتبطة بها كتربية المواشي او التجارة بالسلع الزراعية فضلا عن بعض الصناعات الغذائية، ويتفق كاسترو[٢٠٠] مع ماذهب اليه ميرسون اذ ذكر في وصفه لاعمال المدجنين ((كانوا يقومون بالاعمال البستانية ويعيشون بعيدا عن تجارة المسيحيين القدامى، ولم يكونوا يقبلون بمراقبة احد منهم لحياتهم، وهناك اخرون يقومون باعمال التجارة اذ كانت لديهم محلات لبيع الاطعمة في افضل المواقع في المدن والقرى، وكان الكثير منهم يعيش من مهنته التي يمارسها، كما نجد اخرين يقومون باعمال ميكانيكية مثل اللايات والحدادة وصناعة النعال والصابون واعمال البقالة)).

ومن الجدير بالذكر ان اغلب الاراضي في مدينة بلنسية كانت من املاك النبلاء الاقطاعيين او من املاك الملك اما المدجنون فقد اصبحوا عمالاً او مستأجرين في هذه الاراضي بعد ان كانوا ملاكها الاصليين ونتيجة لخبرتهم الزراعية فانهم استمروا في العمل في هذه الاراضي وهذا مايفسر لنا وقوف النبلاء بوجه كل الاجراءات التي كان يتخذها الملك بحق مسلمي بلنسية وذلك لاهميتهم الاقتصادية الامر الذي ادى الى تأجيل الكثير من القرارات الملكية التي تخص ديانة وعادات وتقاليد المسلمين المدجنين في المدينة المذكورة مما جعلهم يحتفظون بكثير من خصائصهم العربية الاسلامية حتى طردهم من بلنسية[٢٠١] ويذكر ميرسون[٢٠٢] ان المسلمين المدجنين في بلنسية فقدوا الكثير من الاراضي الزراعية الجيدة والبساتين التي كانت تسقى بانظمة الري الكبيرة المتفرعة من نهر تيروا (Taria) لصالح المستوطنين المسيحيين وانتقلوا الى العمل في الاراضي الزراعية الجافة العائدة للنبلاء لاسيما الاراضي الواقعة في جبال اسبادان والتي تروى بواسطة انظمة ري صغيرة اذ يذكر غليك[٢٠٣] ان هنالك قرى في الجبال المذكورة تعتمد على هذه الانظمة وذلك ((عن طريق ينبوع او ينبوعين مع حشد كثيف من التقنيات الهيدرولية المقرونة الى حد بعيد بالاستيطان العربي والمشتملة على الحقول المدرجة، وخزانات المياه والشاذوفات والنواعير والقياس بالساعات المائية)) ويضرب عليك مثلا على ذلك قرية اهين اذ يذكر ان المياه المتدفقة من الينابيع الدائمة الجريان تخزن في ثلاث خزانات ثم توزع على الحقول الواقعة على كل ضفة حسب الدور اسبوعيا، ويضيف ان مناطق الري في بلنسية بشكل عام تكشف عن التمازج بين الجذور الأسلامية والكلاسيكية.

ويذكر ليفي بروفنسال[٢٠٤] ان عرب اسبانيا عامة استخدموا وسائل الري المختلفة ونظموها، وعرفوا بعض الطرق لقياس منسوب المياه او مايعرف حاليا بهندسة الري، كذلك استخدموا السواقي النهرية التي كان لهم الفضل الاكبر في ابتكارها.

وقد اشاد ميرانده[٢٠٥] بنظام الري الذي استخدمه المسلمون في بلنسية لاسيما نظام المصارف والقنوات التي استخدمت لري البساتين والجنان وتزويد السكان بالمياه، ويؤكد متز[٢٠٦] على صدور تشريعات خاصة بتنظيم الري في بلنسية وهذه التشريعات عبارة عن مجموعة من القوانين الدقيقة الخاصة بتنظيم الري، ومن الطريف ان مدينة بلنسية ماتزال تحتفظ حتى وقتنا الحاضر ببعض مظاهر النظم العربية المتعلقة بسقي البساتين وهي محكمة المياه التي تعقد عند باب كتدارئية بلنسية في الساعة العاشرة ظهرا من كل يوم خميس، وتتألف هيئة المحكمة من خبراء بشؤون الري يمثلون نواحي كورة بلنسية ويرأسها مندوب من الحكومة، وعند الساعة الثانية عشر تفتح الجلسة فينادي على اصحاب الظلمات وبعد المناقشة والمداولة يصدر الرئيس الحكم وهو حكم قاطع لا يقبل المناقشة او الاستئناف وذلك من اجل تنظيم اعمال الري، وكل من لايخضع لاحكامه يحرم من ري اراضيه، وهو بذلك يشبه الى حد كبير وكالة السقاية في بلنسية في عصر ملوك الطوائف.

مهما يكن الامر فان الظروف المناخية المناسبة للاستثمار الزراعي فضلا عن الموارد المائية والتقنيات الاروائية المتطورة المستخدمة في استغلال الاراضي الزراعية، ووجود ايدى عاملة ذات خبرة في مجال المعارف الزراعية في البستنة والجنانة وزراعة الاشجار وتخزين المحاصيل الزراعية وتربية المواشي[٢٠٧] كل هذه الامور ادت الى تنوع الانتاج الزراعي في بلنسية اذ اشتهرت المدينة بزراعة محاصيل الحبوب كالحنطة والشعير والرز فضلا عن زراعة اشجار الكروم والزيتون في المناطق الزراعية الجافة، ومن المحاصيل الاخرى التي اشتهرت بها المدينة هي زراعة قصب السكر والخروب والتين وبعض المحاصيل الصناعية كالكتان واشجار التوت التي تستخدم لصناعة الحرير[٢٠٨].

ان التنوع في الانتاج الزراعي في بلنسية انعكس بشكل ايجابي على الحالة المعاشية للمدجنين في المدينة المذكورة، اذ اصبح هنالك فئتين من المدجنين فئة امتازت بالثراء وقامت بأستجار الاراضي الزراعية في بلنسية فضلا عن ممارستها التجارة وفئة اكتفت بتوفير مصدر قوتها من خلال العمل بالاراضي الزراعية[٢٠٩] ويذكر ميرسون[٢١٠] ان المسلمين الاغنياء في بلنسية كانوا يقومون بايجار الاراضي من النبلاء لاسيما تلك التي تقع خارج مدنهم ثم يقومون بتأجيرها الى الفقراء من ابناء جلدتهم بطريقة مقاسمة المحصول او دفع اجور يومية للمزارعين ويستشهد ميرسون باحد الاغنياء المدجنين في بلنسية واسمه فوزي زيجنل الذي اصبح مستاجر معروفاً في الاراضي الملكية في بلنسية فضلا عن ممارسته للتجارة بالتجزئة، اذ كان يتاجر بالمحاصيل الزراعية التي تنتج في الاراضي التابعة له الامر الذي ساعد على زيادة ثروته.

ولم يقتصر عمل المدجنين في الاراضي الزراعية على انتاج المحاصيل الزراعية فحسب بل عمدوا الى تربية الحيوانات كالغنم والماعز لما لها من اهمية اقتصادية وماتدره من ارباح طائلة على مالكيها اذ كانت لحوم الابقار والاغنام والماعز مطلوبة في الاسواق لسد الحاجة المحلية فضلا عن حاجة الاسواق الى الجلود وبالتحديد جلود الابقار والماعز التي كانت تستخدم في صناعة الاحذية وقد لعب مدجنو بلنسية دورا كبيرا في نقل الجلود من منتجيها الى مصانع دبغ الجلود[٢١١].

ومن الجدير بالذكر ان تربية المواشي في بلنسية كانت في بعض الاحيان بصورة فردية ومن قبل شخص واحد وفي احيان اخرى من قبل مجموعة تتشارك في تربية قطيع من المواشي اذ كان الرعاة المسلمون يمارسون مهنتهم في اراضي النبلاء وفي فصل الصيف ينتقلون بمواشيهم الى المناطق الجبلية وكثيرا ما كان الرعاه المسلمون في المناطق الجبلية يتعرضون الى السرقة من قبل ابناء جلدتهم كما حدث في احد قرى بلنسية اذ قام اللصوص بسرقة مواشي ثلاث من المسلمين الرعاة وكان عدد هذه المواشي يبلغ ثلاثمائة رأس كلها من الاغنام والماعز، فضلا عن ذلك فان المسلمين كانوا يهتمون بتربية البغال والحمير التي تستخدم في التجارة فضلا عن ممارستهم لمهنة صيد السمك وخاصة في المناطق القريبة من البحر في بلنسية الا ان هذا النشاط اخذ بالتراجع في القرن السادس عشر بسبب ظهور العثمانين كقوة بحرية والخشية من اتصالهم بالمسلمين المدجنين[٢١٢].

-الصناعة

لم تذكر المصادر معلومات مفصلة عن مشاركة المدجنين في بلنسية في الاعمال الصناعية الا ان حديث بعض المراجع عن النقابات المهنية يكشف لنا عن بعض ملامح الحياة الصناعية للمدجنين في المدينة المذكورة اذ عمد

المهنيون المسيحيون الى تنظيم انفسهم في نقابات صناعية قائمة على مبدأ الاخوة الدينية التي تقضي بابعاد المسلمين المدجنين عن هذه المهن ويذكر دومينغيث[٢١٣] بهذا الخصوص ان نقابة صانعي الاحذية منعت المسلمين المدجنين في بلنسية من الانضمام الى عضويتها وكانت حجتها بذلك هو تجنب ((الاضرار والنتائج غير المناسبة التي يمكن ان تحدث من جراء وجود مثل هؤلاء الاشخاص داخل نقابة صانعي الاحذية وكذلك لتجنب العار والسخرية من جانب الشعب عند رؤويتهم مثل هؤلاء الناس اثناء العروض الدينية، او الاحتفالات العامة وذلك بسبب النتائج التي تحدثها رؤية هؤلاء الناس بين الشرفاء ذوي الثياب الحسنة)) كذلك منعت نقابتي عمال الحبال والنجارين منح العضوية للمورسيكين في هاتين النقابتين خوفا من ان يتعلم المسلمون المدجنون هذه المهنة ويستخدمونها في مساعدة اخوانهم القراصنة المسلمين في شمال افريقيا في صناعة السفن فضلا عن منع المسلمين من صناعة السروج والسيوف وغيرها من المهن التي ربما تشكل خطرا على المسيحيين في اسبانيا نتيجة الخلاف الايدلوجي بينهم وبين المسلمين المدجنين[٢١٤] وقد اكد هذه الحقيقة برامون[٢١٥] حينما قال ((من ناحية اخرى كانت الاجراءات الصادرة لاستبعاد غير المسيحيين من تعلم مهن معينة على علاقة وطيدة بنظرة الارتياب التي كان ينظر بها المجتمع المسيطر على الفرد الخاضع، كما كانت هناك صلة بينها وبين الاحساس الدائم بالخطر الذي كان يلوح في الافق من المسلمين في غرناطة او شمال افريقيا نظرا لقربهما الجغرافي من مملكة فالنسيا، وطبعا كان تخوفهم من الاقلية المدجنة والموريسكية فيما بعد – اكبر... هكذا حظرت نقابة تشحيم السفن بمدينة فالنسيا عبر اللوائح الصادرة عام ١٤٢٤م تعليم مهنة النجارة او نشر او قطع الخشب لاي مسلم او يهودي او اي ملحد آخر يكون خادما خاصا للمعلم او لأي شخص غيره، لانهم اذا عادوا الى بلادهم قد يصنعون اخشابا تصلح كمجاديف او اشياء اخرى)).

كذلك صدرت لوائح استبعاد مدجني بلنسية في عام (٨٧٠هـ/١٤٦٥م) تقضي بابعادهم عن نقابة نساج الحرير ومنعهم من تعلم هذه المهنة اذ نصت هذه اللائحة ((كذلك ليس لأي معلم في هذه المهنة ان يقدم على تعليمها لأي يهودي او مسلم، لأن ذلك سيكون على حساب العامة المشتغلين اذ قد لايجدون فرصا للعمل، مما سيعود بالضرر على ورشهم وعلى المهنة ذاته))[٢١٦] من خلال هذا النص يتضح ان عوامل اقتصادية واجتماعية كانت وراء ذلك الاستبعاد ومن الجدير بالذكر ان هذه اللوائح بقيت سارية المفعول على المسلمين المدجنين حتى طردهم من بلنسية بل ان اجراءات الاستبعاد كانت اكثر صرامة بعد تحول المسلمين الى مسيحيين، وهذا ما اكده برامون[٢١٧] حينما قال ((يجب الاشارة الى التوافق الزمني النسبي بين انتشار حركة التنصير في المجتمع الفالنسي وبين تطبيق الاجراءات الاستبعادية على المسيحيين الجدد في النقابات المهنية)) وقد علل بعض الباحثين الغربيين عملية استبعاد المسلمين المدجنين في بلنسية من بعض النقابات المهنية لدواعي امنية، اذ علق بيلس[٢١٨] على استبعاد المسلمين المدجنين من نقابة صناعة السفن في بلنسية بقوله انه صدر ((كي لايتسنى للملحدين المشاركة في بناء السفن التي يمكن استخدامها لمهاجمة المسيحيين))

اما براموان[٢١٩] فقد كان له راي اخر اذ ذكر ان الغالبية العظمى من اللوائح النقابية الداخلية كانت تشكل تدابير تمييزية ضد المسلمين المنصرين ظلت تستعبدهم على الاقل نظريا الى ان اختفى نظام النقابات في اسبانيا في القرن التاسع عشر ويضيف برامون انه وبغض النظر عن الحالات الاستثنائية الا ان هناك قاعدة عامة ومطلقة تحرم على جميع الملحدين وذويهم الانضمام الى الكيان النقابي ويضرب مثلا على ذلك ان جميع لوائح الاستبعاد التي اطلع عليها تطالب بنقاء الدم المطلق لاعضائها، ومن اللوائح التي اطلع عليها هي تلك اللوائح المنظمة لعمل الصيادلة في فالنسيا

والصادرة في عام (٩٣٦هـ/١٥٢٩م) اذ تضمنت هذه اللوائح العديد من القرارات[٢٢٠] منها ((لتحقيق المزيد من الاحترام كما ورد في الفصل المشار اليه سابقا، وللحيلوله دون امكانية تقدم اي من المتنصرين الجدد او ذويهم لتأديه اختبار المهنة، نحظر على اي من افراد النقابة المهنية ان يتخذ تلميذا من المتنصرين الجدد او ذويهم، سواء كان ذكرا او انثى في بيته او صيدلته بغرض تعليمه مهنة الصيدل' او الاستعان' بمساعدته في تحضير العقاقير او في الاشياء المتعلقة بهذه المهنة... واذا حدث وخالف هذا الامر واصر على الاحتفاظ بهذا التلميذ، يتم اغلاق صيدليته وطرده من النقابة ولا يصبح قادرا على الاستفادة من هذا التلميذ)).

وقد ذهبت اللوائح الى ابعد من ذلك حينما نصت في احد فقراتها على انه ((اذا تزوج احد اعضاء هذه النقابة امرأة متنصرة حديثا، لايجوز له خلال فترة زواجه منها الانضمام الى هذه النقابة او قبوله فيها، واذا حدث ووقع عليه الاختيار لشغل منصب فيها يعتبر هذا الاختيار باطلا وكأنه لم يكن، ويتم اجراء انتخابات اخرى يرشح لها افراد جدد لا يكون هو منهم)).[٢٢١]

ان من اهم الاسباب التي دفعت السلطات الاسبانية الى تحريم ممارسة الطب من قبل المدجنين هي الشهرة التي حازها بعض الاطباء المدجنين ولا سيما في مدينة بلنسية وبذلك اصبحوا منافسين حقيقيين للاطباء المسيحيين على الرغم من ان الاطباء المسلمين المدجنين لايمتلكون شهادة علميه[٢٢٢].

ان منع المسلمين المدجنين من الدخول في النقابات الحرفية جعلهم يتجهون الى اقامة نقابات خاصة بهم لعل اشهر هذه النقابات هي نقابة صانعي الاحذية في مدينة بلنسية مع العلم ان هذه النقابة قامت على اساس التكامل الصناعي مع النقابات المسيحية، لا على اساس المنافسة ويتضح ذلك جليا في اعتماد صناع الاحذية المدجنين على ما ينتجه اصحاب معامل الجلود المسيحيين من الجلود المدبوغة، وغالبا ما كان المدجنون في بلنسية يسددون قيم الجلود المدبوغة الى اصحابها المسيحيين بطريقة الدفع بالاجل بعد ان ياخذ المسيحيون العربون وبعد ان يكمل المسلم انتاج الاحذية يقوم بتسديد المبالغ المستحقة للاصحاب معامل الجلود المسيحيين[٢٢٣] ويذكر ميرسون[٢٢٤] ان المسلمين المدجنين قد احتكروا مهنة صنع الاحذية وحاول استصدار احكام من قبل السلطات الحاكمة في بلنسية بعدم السماح لابناء جلدتهم من المدجنين بممارسة هذه المهنة الا بعد ان تكون لدى الشخص الراغب بممارسة هذه المهنة المذكورة خدمة لاتقل عن الثلاث سنوات لدى اصحاب المهنة الاصليين وان على ابناء اصحاب دكاكين الاحذية العمل ثلاث سنوات مع ابائهم وان يكون عمرهم ثمانية عشر عاما ويتزوجون قبل ان يكون لهم حق امتلاك محل لصناعة الاحذية وبهذه الطريقة فان اصحاب المهنة يستطيعون التحكم بانتاج النوعية الجيدة والسيطرة على الاسعار وتقوية اقتصادهم المحلي وموقعهم الاجتماعي وبذلك يستطيعون حماية انفسهم من اي منافس جديد ربما يحدث تأثيرا على اسعار ونوعية السلعة المنتجة.

لم يقتصر نشاط المدجنين في بلنسية على صناعة الاحذية فحسب فقد برزوا ايضا في مجال صناعة الالعاب النارية وهي مهنة تعد قديمة بالنسبة لمسلمي بلنسية ويذكر دمينغيث[٢٢٥] ان عدد لابأس به من المسلمين في بلنسية كان يمارس صناعة طلقات الرصاص، وكانت لديهم طواحين لصناعة البارود الذي يباع في بلنسية، وكانوا يشترون ملح البارود من سرقسطة وكانوا يصنعون البنادق، ويخزنون البارود في براميل ثم يقومون باستخدامه في الحفلات على شكل العاب نارية.

كذلك فقد نشط مدجنون بلنسية في صناعة النسيج والملابس مثل الحياكة والصباغة وصناعة الكتان والخياطة وكان لمعظم الاماكن الاسلامية صباغتها الخاصة، كان كل الصباغ المسلمون يأتون الى بلنسية لشراء

الملابس الصوفية والكتان من المسيحيين وكذلك انواع الصبغ والملح الكيمياوي الابيض الضروري في عمليات الصبغ،اما الخياطون فانهم كانوا يتواجدون بصورة اساسية في اراضي النبلاء ويعملون على خياطة الملابس للسكان المحليين وكانوا يذهبون الى مركز المدينة من اجل شراء المواد الاولية للخياطة[٢٢٦] ويذكر ميرسون[٢٢٧] ان مدينة بلنسية تضم عدد لابأس به من صانعي ملابس الكتان المدجنين ومنهم عبدالله تورالبي الذي كان يحوك الكتان بنفسه بعد الحصول عليه من المزارعين ثم يقوم ببيعه بعد ذلك بطريقة التجزئة (التقسيط) فضلا عن ذلك فقد اشتهر المدجنون في بلنسية بصناعة الحصر والحبال والسلال والتي كانت تصنع من سعف النخيل وكان اهل بلنسية يحملون هذه البضائع ليبعوها في مدريد[٢٢٨] كذلك برز مدجنو بلنسية في مجال الصناعات المعدنية مثل الحديد والدروع وكانوا يعملون مع تجار مسيحيين اذ كان هؤلاء المسلمون المدجنون يشترون من التجار الحديد والنحاس بطريقة الدفع الاجل بعد اكمال اعمالهم الصناعية[٢٢٩]

ومن الصناعات الاخرى التي سجلت حضورها في مدينة بلنسية هي بعض الصناعات الغذائية التي تتخذ من قصب السكر مادة اولية لها كصناعة الحلوى، اذ لعب المسلمون المدجنون دورا كبيرا في تنقية وتحضير قصب السكر من اجل جعله جاهز للبيع ليستخدم في مصانع الحلوى[٢٣٠]

-التجارة

يذكر ميرسون[٢٣١] ان الشائعات التي ظهرت في عام (٩٠٨هـ/١٥٠٢م) والمتعلقة باحتمالية اجبار المدجنين في بلنسية على التعميد، اثارت مخاوف الملك الاسباني فرناندو الثاني (١٤٧٩-١٥١٧م) من تأثير هذه الشائعات على مستقبل التجارة التي يقوم بها المسلمون في بلنسية من الداخل، ان النظرة المتشائمة التي صدرت عن الملك فرناندو تدل على احتكار المسلمين للتجارة الداخلية وعزوف الاسبان عنها لأنهم كانوا ينظرون الى هذه المهنة على انها مهنة حقيرة لايمارسها الا الناس الاراذل والرعاع[٢٣٢]

ومن الجدير بالذكر بأن التجارة الخارجية للمدجنين في بلنسية قد اصابها الكساد بسبب حالة عدم الاستقرار التي كان يشهدها البحر المتوسط نتيجة الصراع بين الدولة العثمانية واسبانيا في هذه المياه اذ ترتب على هذا الصراع ابعاد الكثير من المسلمين عن الساحل خشية اتصالهم بابناء جلدتهم المغاربة لا سيما اذ ما علمنا ان مدينة بلنسية تقع على الساحل الشرقي للبحر المتوسط قبالة السواحل المغربية[٢٣٣] فضلا عن حاجة التجارة الخارجية للسفن الكبيرة التي كان يفتقر لها المسلمون المدجنون، الا ان ذلك لا يعني عدم قيام مسلمي بلنسية باعمال تجارية مع الخارج اذ ذكر ميرسون[٢٣٤] ان محمد بيلفس وهو مسلم ينتمي الى احدى العوائل الثرية في مدينة بلنسية كانت له تجارة خارجية مع كل من شمال افريقيا ومصر وايطاليا وكان يتاجر بالتوابل اذ كان يشتريها من الاسكندرية ويبيعها في ايطاليا وبلنسية، وكان بليفس يسافر بصحبة عدد من المدجنين ويضيف ميرسون ان حالة محمد بليفس هي حالة استثنائية لم تتكرر مع اقرانه المسلمين المدجنين الذين اقتصرت تجارتهم على المناطق الزراعية بين القرى الصغيرة في مدينة بلنسية فضلا عن نقل هذه المنتجات الى مركز المدينة، ويذكر ميرسون[٢٣٥] ان مثل هذا النوع من التجارة كان الهدف منه تحقيق التكامل الاقتصادي بين الريف والمدينة فاهل المدينة يحتاجون المواد الاولية للصناعة من الريف في حين ان اهل الريف كانوا بحاجة الى تصريف الفائض من منتجاتهم لسد حاجة السوق في المدينة فضلا عن استيراد المواد الضرورية لحياة ابناء الريف، وكانت بعض العائلات المسلمة تقوم برحلات منتظمة اسبوعية الى اسواق مدينة الكير التابعة لبلنسية ومن هذه الرحلات هي رحلة محمد بولاقي وزوجته اذ يغادر محمد بولاقي مدينة بارونية مع حيواناته المحملة

بالمواد الغذائية واشياء اخرى والتي اعتاد ان يجلبها كل يوم ثلاثاء الى الساكنين قرب مدينة الكير الذين اعتادوا ان يكون هناك سوق في هذا اليوم من الاسبوع[٢٣٦]. اما أنواع المنتجات التي كان يتاجر بها المسلمون المدجنون فان المنتجات الزراعية تأتي في مقدمة تلك المنتجات لحاجة السوق اليها، ثم تأتي بعدها بالمرتبة الثانية المواد الاولية التي يحتاج لها الحرفيون المدجنون كالحديد والنحاس والالمنيوم والكتان والملابس وغالبا ما تكون عمليات الشراء بالجملة والمفرد وقسم كبير منها يباع بطريقة التقسيط فضلا عن ذلك فقد انتشرت ظاهرة الباعة المتجولين ويمكن الاستدلال على ذلك من خلال الاجازات التي منحت للمسلمين من قبل السلطات البلنسية من اجل تصريف المنتوجات الزراعية والصناعية الامر الذي يعود بالفائدة على الاقتصاد البلنسي[٢٣٧]

ويذكر دومينغيث[٢٣٨] بأن المدجنين كانوا يستخدمون في تنقلهم اثناء قيامهم بالعمليات التجارية البغال وكانوا يعملون لحسابهم الخاص اذ ينقلون المنتجات حيث توجد بكثرة الى اماكن اخرى تقل فيها وكانوا يحققون ارباحا طائلة من جراء ذلك لذلك تعالت اصوات المسيحيين القدامى بوجوب ان يعمل المسلمون المدجنون في الزراعة والرعي فقط لانهم اثبتوا تفوقهم في البيع والشراء والمهن التجارية الاخرى والتي يجدون فيها مكسبا كبيرا وعملا قليلا وذلك لأنهم بخلاء وحريصون.

النتائج

– كشفت الدراسة حالة الضعف والوهن والفرقة التي كان يعيشها المسلمون في الاندلس وباقي ارجاء المعمورة اذ تركت بلنسية تلقى مصيرها المجهول على يد مملكة ارغون دون ان تحرك الانظمة اسلامية في الشرق والغرب ساكناً تجاه ما يحدث.

– يعد سقوط مدينة بلنسية ايذاناً بانهيار الوجود العربي الاسلامي في الاندلس لأن بفقدانها خسر المسلمون اهم القواعد البرية والبحرية التي كانت تمثل الخط الدفاعي الاول للوقوف بوجه اطماع ممالك الشمال الاسباني وهذا ما يفسر لنا انهيار الجبهة اسلامية في الاندلس بعد سقوط المدينة المذكورة.

– على الرغم من تنصل خايمي الاول عن بعض العهود والمواثيق التي قطعها للمسلمين بعد سقوط المدينة الا ان ذلك لم يكن عائقاً امام المسلمين في الاستمرار بأداء واجباتهم الدينية لأكثر من ثلاث قرون بفضل الحماية التي كان يوفرها لهم النبلاء الاسبان اذ وجد هؤلاء النبلاء ان المسلمين المدجنين في بلنسية كانوا يمثلون ايدي عاملة رخيصة تمتاز بالخبرة الكافية لأداره الاراضي الزراعية العائدة لهم، وان فقدان هذه الخبرة الزراعية سوف يعرض اراضيهم الى الخراب والدمار لذلك كانوا شديدي التمسك بخدماتهم وتصدوا لكل القرارات التي كانت تهدف الى النيل من ديانة وعادات وتقاليد المسلمين.

– لم يستطع قرار التنصير الذي أصدرته السلطات المسيحية في ارغون سنة (٩٣٢هـ/١٥٢٥م) بحق مسلمي بلنسية ان يحول دون استمرارهم بممارسة دينهم وعاداتهم وتقاليدهم الاسلامية، اذ لجأ المسلمين في المدينة المذكورة الى اتباع الاسلام السري الذي استطاعوا من خلاله الاستمرار بأداء الطقوس الدينية والعادات والتقاليد الاسلامية التي كانوا يمارسونها في مرحلة الدجن لكن بأسلوب جديد يقوم على التظاهر باعتناق الديانة المسيحية مع ممارسة الاسلام بشكل سري مستفيدين من بعض الفتاوى التي اصدرها رجال الدين في المغرب والتي تبيح للمسلمين في الاندلس ممارسة الاسلام بشكل سري.

– حافظ المدجنون في بلنسية على الكثير من تراثهم الحضاري الذي ورثوه عن اسلافهم العرب المسلمين على الرغم من المدة الطويلة التي قضوها تحت الحكم المسيحي، اذ كشفت النصوص التاريخية بأن المسلمين في بلنسية قد

حافظوا على لغتهم وازياءهم حتى مدة متأخرة من وجودهم في المدينة المذكورة فضلاً عن حفاظهم على بعض العادات والتقاليد لا سيما ما يتعلق بالأعياد والمناسبات الدينية وتنوع الاطعمة التي كانوا يتناولها وبذلك فهم لا يختلفون كثيراً عن اقرانهم المسلمين في المغرب العربي على الرغم من بقائهم مدة طويلة تحت حكم المسيحين.

– ساهم مدجني بلنسية بدور كبير في المجال الاقتصادي وكانوا عماد الاقتصاد البلنسي لان اغلبهم كان يتقن العمل في المجال الزراعي. اذ اقترن نجاح الانتاج الزراعي في بلنسية بخبراتهم الزراعية التي ورثوها عن اسلافهم المسلمين الذين أدخلوا الى المدينة المذكورة مختلف انواع النباتات والاشجار المثمرة والتي نقلوها من جهة المشرق فضلاً عن استخدامهم وسائل الري المتطورة لا سيما المصارف والقنوات التي استخدمت لري البساتين والجنان، اما مساهمة المدجنين في بلنسية في النشاط الصناعي والتجاري فلم ترتقِ الى مستوى مساهمتهم في الجانب الزراعي على الرغم من ان كثير من المدجنين قد عمل في الصناعات الغذائية التي اخذت من قصب السكر مادة اولية لها فضلاً عن مساهمتهم في صناعة النسيج والملابس مثل الحياكة والصباغة وصناعة الاحذية أما دورهم في الجانب التجاري فقد كان محدوداً واقتصر على بعض الاسر الميسورة.

ملحق رقم (١)

رسالة موجهة من احد فقهاء مراكش الى المسلمين المدجنين الذين يسميهم الغرباء، وفيها نصائح لهم تتعلق بتمكينهم من ممارسة شعائر الأسلام خفية رغم الأضطهاد، وتاريخها أول رجب سنة ٩١٠هـ الموافق ل ٢٨ تشرين ثاني سنة ١٥٠٤م.(*)

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً أخواننا القابضي، على دينهم، كالقابض على الجمر، من أجزل الله ثوابهم فيما لقوا في ذاته وصبروا النفوس، والأولاد في مرضاته، الغرباء القرباء إن شاء الله، من مجاورة نبيه في الفردوس الأعلى من جناته، وأرثو سبيل السلف الصالح في تحمل المشاق، وإن بلغت النفوس الى التراق نسأل الله أن يلطف بنا. وأن يعيننا وإياكم على مراعات حقة، بحسن إيمان وصدق، وأن يجعل لنا ولكم من الأمور فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً.

بعد السلام عليكم، من كاتبه اليكم من عبيد الله أصغر عبيده وأحوجهم الى عفوه ومزيده، عبيد الله تعالى أحمد بن بوجمه المغراوي ثم الوهراني كان الله للجميع بلطفة وستره، سائلاً من أخلاصكم وغربتكم حسن الدعاء بحسن الخاتمة والنجاة من أهوال هذه الدار، والحشر مع الذين أنعم الله عليهم من الأبرار، موكداً عليكم في ملازمة دين الأسلام آمرين به من بلغ من أولادكم، وأن لم تخافوا دخول شر عليكم من اعلام عدوكم بطويتكم فطوبي للغرباء الذين يصلحون إذ فسد الناس، وإن ذاكر الله بين الغافلين، لا يضر ولا ينفع، وأن الملك ملك الله ما أتخذ الله من ولد، وما كان معه من إله، فاعبدوه وأصطبروا لعبادته، فالصلاة ولو بالإيماء، والزكاة ولو كأنها هدية لفقيركم أورياء، لأن الله لا ينظر الى صوركم ولكن الى قلوبكم والغسل من الجناية ولو عوماً في البحور، وإن منعتم فالصلاة قضاء بالليل لحق النهار، وتسقط في الحكم طهارة الماء، وعليكم بالتيمم ولو مسحاً بالأيدي للحيطان، فأن لم يمكن فالمشهور سقوط الصلاة وقضاؤها لعدم الماء والصعيد إلا أن يمكنكم الأشارة إليه بالأيدي والوجه الى تراب طاهر أو حجر أو شجر مما يتيمم به، فاقصدوا بالإيماء، نقله أبن ناجي في شرح الرسالة لقوله عليه السلام: فأتوا منه ما أستطعم. وأن أكرهوكم في

وقت صلاة الى السجود للأصنام، أو حضور صلاتهم فاحرموا بالنية وأنووا صلاتكم المشروعة، وأشيروا لما يشيرون اليه من صنم ومقصودكم الله، وإن كان لغير القبلة تسقط في حقكم كصلاة الخوف عند الألتحام، وإن أجبروكم على شرب خمر فاشربوه لا بنية أستعماله، وإن كلفوا عليكم خنزيراً فكلواه ناكرين أياه بقلوبكم ومعتقدين تحريمه، وكذا إن أكرهوكم على محرم، وأن زوجوكم بناتهم فجائز لكونهم أهل الكتاب، وأن أكرهوكم على إنكاح بناتكم منهم فاعتقدوا تحريمه لو لا الاكراه، وأنكم ناكرون لذلك بقلوبكم. ولو وجدتم قوة لغيرتموه، وكذا إن أكرهوكم على ربا أو حرام فافعلوا منكرين بقلوبكم. ثم ليس عليكم الأرؤوس أموالكم وتتصدقون بالباقي إن تبتم الى الله تعالى. وإن أكرهوكم على كلمة الكفر فأن أمكنكم التورية والألغاز فافعلوا، وإلا فكونوا مطئني القلوب بالإيمان إن نطقتم بها ناكرين لذلك:

وأن قالوا أشتموا محمد فإنهم يقولون له ممد فاشتموا مُمَداً، تأويل أن الشيطان، أو ممد اليهود فكثيربهم اسمه، وإن قالوا عيسى أبن الله فقولوها إن أكرهوكم، وأنووا إسقاط مضاف أي عبد اللاه مريم معبود بحق. وإن قالوا قولوا المسيح أبن الله فقولوها إكراهاً، وانووا بالأضافة

(*)لونغاس، الحياة الدينية للموريسكيين، ص٢٧٥–٢٧٦.؛ حمادة، محمد ماهر، الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمال أفريقية، منشورات مؤسسة الرسالة، دمشق، ١٩٧٨، ج٧، ص٥٦٨–٥٧١.

للملك كبيت الله لا يلزمه أن يسكنه أو يحل به، وإن قالوا قولوا مريم زوجة له فانووا بالضمير أبن عمها الذي تزوجها في بني أسرائيل ثم فارقها قبل البناء، قاله السهيلي في تفسير المبهم من الرجال في القرآن، أوزوجها الله منه بقضائه وقدره. وأن قالوا عيسى توفي بالصلب فانووا من التوفية، والكمال، والتشريف من هذه، وأماتته وصلبه، وأنشاد ذكره، وأظهار الثناء عليه بين الناس، وأنه أستوفاه الله برفعه الى العلو. وما يعسر عليكم فابعثوا فيه الينا نرشدكم إن شاء الله على حسب ماتكتبون به. وأنا أسال الله أن يديل الكره للأسلام حتى تعبدوا الله ظاهراً بحول الله من غير محنة، ولاوجلة، بل بصدمة الترك الكرام. ونحن نشهد لكم بين يدي الله أنكم صدقتم الله ورضيتم به. ولا بد من جوابكم والسلام عليكم جميعاً بتاريخ غرة رجب عام عشرة وتسع مئة عرف الله خيره.

يصل الغرباء إن شاء الله تعالى.

ملحق رقم (٢)

ملخص فتوى الونشريسي بحق المسلمين المدجنين والتي سميت: (اسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه ولم يهاجر، وما يترتب عليها من العقوبات والزواجر) وهي جواب لسؤال وجهه احد الفقهاء بخصوص المسلمين المدجنين(*).

ما حكم من تمادى من المسلمين في ذلك؟ وما حكم من عاد منهم الى دار الكفر بعد حصوله في دار الاسلام؟ وهل يجب وعظ هؤلاء أو يعرض عنهم ويترك كل واحد منهم لما اختار؟ وهل من شرط الهجرة أن يهاجر أحد إلا الى دنيا مضمونة يصيبها عاجلاً عند وصوله جارية على وفق غرضه حيث حل من نواحي الاسلام؟ أو ليس ذلك بشرط بل تجب عليهم الهجرة من دار الكفر الى دار الاسلام، الى حلو او مر او وسع او ضيق او عسر او يسر بالنسبة لأحوال الدنيا. وإنما القصد بها سلامة الدين والأهل والوالد، والخروج من حكم الملة الكافرة الى حكم الملة المسلمة، إلا ماشاء الله من حلو او مر، او ضيق عيش او سعة، ونحو ذلك من احوال الدنيا.

جواب السؤال السابق بصورة فتوى من الشيخ أحمد بن يحيى التلمساني الونشريسي عن هذه المسائل:

١- أن الهجرة من ارض الكفر الى ارض الاسلام فريضة الى يوم القيامة وكذلك الهجرة من ارض الحرام والباطل.
٢- و لايسقط هذه الهجرة الواجبة على هؤلاء الذين استولى الطاغية على معاقلهم وبلادهم، ولايتصور العجز عنها بكل وجه وحال، ولا الوطن ولا المال فان ذلك كله ملغى في نظر الشرع. وأما المستطيع باي وجه كان وباي حيلة تمكنت، فهو غير معذور وظالم لنفسه إن أقام. والظالمون أنفسهم إنما هم التاركون الهجرة مع القدرة عليها، حسبما تضمنه قوله تعالى: (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها). والمعاقب عليه إنما هو من مات مصراً على هذه الإقامة.
٣- وتحريم هذه الاقامة تحريم مقطوع به من الدين، كتحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وقتل النفس بغير حق.. ومن جوز هذه الاقامة، وأستخف أمرها واستهل حكمها فهو مارق من الدين، مفارق لجماعة المسلمين، ومحجوج بما لامدفع فيه لمسلم، ومنبوذ بالاجماع الذي لاسبيل الى مخالفته وخرق سبيله. قال زعيم الفقهاء القاضي ابو الوليد ابن رشد رحمه الله في اول كتاب التجارة الى ارض الحرب من مقدماته ((فرض الهجرة غير ساقط بل الهجرة بل الهجرة باقية لازمة الى يوم القيامة. وأجاب باجماع المسلمين على اسلم بدار الحرب أن لا يقيم بها حيث تجري عليه احكام المشركين، وأن يهجره ويلحق بدار المسلمين حيث تجري عليه احكامهم)).
٤-ثم لما نبعت هذه الموالاة النصرانية في المئة الخامسة وما بعدها من تاريخ الهجرة وقت استيلاء ملاعين النصارى -دمرهم الله- على جزيرة صقلية وبعض كور الأندلس سئل فيها بعض الفقهاء، واستفهموا عن الاحكام الفقهية المتعلقة بمرتكبها، فأجاب بأن

(*)الونشريسي، المعيار المعرب، ج٢ ، ص ١١٩-١٣٦.؛ عنان ، نهاية الأندلس، ص٦١-٦٢.

أحاكمهم جارية مع احكام من اسلم ولم يهاجر، والحقوا هؤلاء المسؤول عنهم، والسكوت عن حكمهم بهم، وسووا بين الطائفتين في الاحاكم الفقهية المتعلقة بأموالهم وأولادهم، ولم يروا فيها فرقاً بين الفريقين.

الهوامش

(١)اسست هذه المحاكم في قشتاله سنة (١٤٨٠م) من قبل الملكان الكاثوليكيان (فرديناد وايزابيلا) وكان الهدف من تأسيسها هو مطاردة اليهود المتنصرين ومنعهم من أداء الطقوس اليهودية بالخفاء، وبعد سقوط غرناطة وتنصير المسلمين في الاراضي القشتاليه تحول عمل هذه المحكمة لمطاردة المسلمين لا سيما بعد طرد اليهود من الاندلس في سنة (١٤٩٢م)، ويبدو أن عملها كان يستهدف تحقيق الوحدة الدينية للبلاد بعد أن تحققت الوحدة السياسية. ينظر: الزوبعي، بشرى محمود صالح، محاكم التفتيش الاسبانية، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى مجلس كليةالآداب جامعة بغداد، ١٩٩٨، ص ٣٩–٤٠.

(٢)الفيروزبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار العلم للملايين، بيروت، د.ت، ج٢ ، ص٢٠٢.

(٣)الحميري، محمد بن عبدالله بن عبدالمنعم، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق احسان عباس، بيروت، ١٩٥٧،ص٩٧–١٠١.

(٤)العذري، ابو العباس احمد بن عمر بن انس، نصوص عن الاندلس من كتاب ترصيع الاخبار وتنويع الاثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك، تحقيق عبدالعزيز الاهواني ، مطبعة معهد الدراسات الاسلامية، مدريد، ١٩٦٥، ص١٨.

(٥)حسين، كريم عجيل، الحياة العلمية في بلنسية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٥، ص٦١–٦٢.

(٦)ابن سعيد الأندلسي، ابو الحسن علي بن موسى، كتاب الجغرافيا، تحقيق اسماعيل العربي، بيروت، ١٩٩٧، ص١٦٧.

(٧) ابن سعيد الأندلسي، ابو الحسن علي بن موسى، المغرب في حلى المغرب، وضع حواشيه خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٧٩، ج٢، ص٢٤٣.

(٨)العذري، ترصيع الاخبار ، ص١٨.

(٩)الادريسي، ابوعبد اله محمد بن عبدالله الحمودي، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، عالم الكتب، بيروت،١٩٨٩،ج٢، ص٥٧٧.

(١٠) المغرب في حلى المغرب ، ج٢، ص٢٤٣.

(١١)ديوان ابن زقاق، تحقيق عفيفة ديراني، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٤،ص١٣٩.

(١٢)ابن القوطية، ابو بكر محمد بن عبدالعزيز، تاريخ افتتاح الاندلس، تحقيق عبدالله انيس الطباع، دار النشر للجامعيين، بيروت، ١٩٥٨، ص١٣٦ ومابعدها

(١٣)الحميري، الروض المعطار، ص١٣٢.

(١٤)مؤنس، حسين، رحلة الاندلس، الشركة العربية للطباعة، القاهرة، ١٩٦٣، ص٢٧١.

(١٥) العذري، ترصيع الاخبار، ص١٨–١٩.

(١٦) ابن الابار، ابوعبدالله محمد بن عبدالله بن ابي بكر القضاعي، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عزت العطار الحسيني، القاهرة، ١٩٥٦، ج١، ص١٢١.

(١٧) عنان، محمد عبدالله، عصر المرابطين والموحدين، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٠، ج٢، ص٤٤٣.

(١٨) وتتكون من ثلاث جزر هي ميورقة ومنورقة ويابسه وتقع غرب البحر المتوسط في الجهة الشرقية من الاندلس واكبر هذه الجزائر هي ميورقة ونظرا لموقعها الجغرافي بين هذه الجزائر وكبر مساحتها كانت المركز الاداري للجزائر الشرقية. ينظر: الحميري، محمد بن عبدالمنعم، صفة جزيرة الاندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق ليفي بروفنسال، القاهرة، ١٩٣٨، ص١٨٨.

(١٩)براتشينا، دون باسكوال بوررنات ،الموريسيكون الاسبان ووقائع طردهم، ترجمة الدكتورة كنزه الغالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٢، ص٩٣.

(٢٠) هو اخر حكام الدولة الموحدية في مدينة بلنسية استمر بحكم المدينة حتى سنة (٦٢٦هـ/١٢٢٨م) اذ استطاع في هذه السنة ابو جميل زيان بن مدافع الذي ينتمي الى اسرة بني مردنيش ان يستولي على المدنية من يد الموحدين مما اظطر حاكمها الموحدي ابا زيد الى اللجوء الى حاكم مملكة ارغون خايمي الاول على امل استعادة بلنسية. ينظر: ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد الحضرمي، تاريخ ابن خلدون المسمى العبر، ط٣، بيروت، ٢٠٠٦،ج٦ ، ص٣٣٩.؛ ابن الابار، التكملة، ج١، ص ١٢١.؛ اشباخ، يوسف، تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٦، ج٢، ص١٧١-١٧٢.

(٢١) هو حاكم مدينة بلنسية ينحدر من سلالة يوسف بن مردنيش وهي اسرة من المولدين حكمت شرق الاندلس في آواخر عصر المرابطين وآوائل عصر الموحدين. لسان الدين بن محمد السلماني، اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام،(تاريخ أسبانيا الاسلامية) تحقيق ليفي بروفنسان، مكتبة الثقافية الدينة، القاهرة، ٢٠٠٤،ص٢٧٢.

(٢٢) اشباخ، عصر المرابطين والموحدين، ج٢، ص١٧٤.

(٢٣) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ج٢، ص٤٣٩.

(٢٤)اشباخ، عصر المرابطين والموحدين، ج٢، ص١٧٥.

(٢٥) المرجع نفسه، ج٢، ص١٥٧.

(٢٦) براتشينا، الموريسكيون الاسبان، ص٩٤.

(٢٧) برامون، دولوروس، المسلمون واليهود في مملكة بلنسية، ترجمة رانيا محمد احمد،، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٤، ص٦٥.

(٢٨) براتشينا، الموريسكيون الاسبان، ص٩٥.

(٢٩)المرجع نفسه، ص٩٦.

(٣٠)عنان عصر المرابطين والموحدين، ج٢، ص ٤٤٢.

(٣١)المرجع نفسه، ج٢، ص ٤٤٢.

(٣٢) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٣٣٩.؛ المقري، شهاب الدين احمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غص الاندلس الرطيب، تحقيق احسان عباس، دار صادر بيروت، ٢٠٠٨، ج٤، ص٤٧٣.

(٣٣) المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٤٧٣.

(٣٤) براتشينا، الموريسكيون الاسبان، ص٩٥.

(٣٥)المرجع نفسه ، ص٩٥.

(٣٦) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٣٣٩-٣٤٠.

(٣٧)المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٤٥٧.

(٣٨)الزركشي، ابي عبدالله محمد بن ابراهيم، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ١٩٦٦، ص٢٨.

(٣٩) براتشينا، الموريسكيون الاسبان، ص٩٥.

(٤٠)ابن خلدون، العبر، ج٦، ، ص٣٤٢.؛ الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ص٢٨.

(٤١) ابوعبدالله محمد المراكشي، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، القسم الثالث الخاص بالموحدين، نشر امبروسيو هويثي ميرانده، تطوان، ١٩٦٠، ص٣٤٥.

(٤٢)اعمال الاعلام ،ص٢٧٣.

(٤٣)الموريسكيون الاسبان، ص٩٦.

(٤٤)المرجع نفسه ، ص٩٦.

(٤٥) اشباخ، عصر المرابطين والموحدين ،ج٢، ص١٧٧.

(٤٦)الموريسكيون الاسبان، ص٩٧.

(٤٧)اشباخ، عصر المرابطين والموحدين ،ج٢، ص١٧٧-١٧٨.

(٤٨)المرجع نفسه ، ج٢، ص١٧٨.

(٤٩)عنان، عصر المرابطين والموحدين، ج٢، ص٤٥١.

(٥٠)المصدر نفسه، ص٤٥٥.

(٥١)اشباخ، عصر المرابطين والموحدين ،ج٢، ص١٧٨.

(٥٢)المرجع نفسه ،ج٢، ص١٧٩.

(٥٣)ابن ابي زرع، علي الفاسي، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢، ص٦١.

(٥٤). براتشينا، الموريسكيون الاسبان، ص٩٨-٩٩.

(٥٥)الوزان، الحسن بن محمد الفاسي، وصف افريقيا، ط٢، ترجمة عن الفرنسية، محمد حجي ومحمد الاحضر، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٨٣، ج٢، ص١٣٥.

(٥٦)هارفي، ليونارد، المدجنون، بحث ضمن كتاب الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس، تحرير سلمى خضراء، الجيوسي، مركز دراسات، الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٨، ج٢، ص٢٨٨.

(٥٧) المسلمون و اليهود في مملكة فالنسيا، ص٦٢.

(٥٨)المدجنون، ص٢٨٨.

(59) Stephen, Haliczer, Inquisition and society in the king dom of Valencia, (1378-1834), Univeritsy of California, 1990 , P.244.

(60) Meyerson, Mark, The Muslims, of, Valencia In the Age of Fernado and Isabel, University of California, 1990, P.34.

(61)Davilay Collado, Manuel, La expulision de los Moriscos espanoles Madrid, 1889, P.21-22.

(٦٢)براتشينا، الموريسيكيون الاسبان، ص١٠١.

(٦٣)حومد، اسعد، محنة العرب في الاندلس، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٨، ص٢٠٦.

(٦٤)المرجع نفسه، ص٢٠٦.

(٦٥) الموريسكيون الاسبان، ص١٠١.

(٦٦)الكتاني، علي، الوجود الاسلامي في الممالك النصرانية بشبة الجزيرة الايبريه قبل سقوط غرناطة، مجلة التاريخ العربي، العدد السادس، الدرا البيضاء، ١٩٨٨، ص١٥٤.

(٦٧)عنان ، عصر المرابطين والموحدين، ج٢، ص٤٦١.

(٦٨)حومد، محنة العرب، ص٢٦٠-٢٦١.

(69)Davilay, los moriscos espanoles, P.22.

(70) op. cit, p23

(71) op. cit, P.22

(٧٢) حومد، محنة العرب، ص٢٠٤.

(73)Circourvt, count Albert, Histoir des Arabes en Espagne, paris, 1846, Vol,I , P229.

(٧٤)الكتاني، الوجود الاسلامي في الممالك النصرانية، ص١٥٥.

(٧٥)المرجع نفسه ، ص١٥٥.

(٧٦)حومد، محنة العرب، ص٢٠٧.

(٧٧)هارفي، المدجنون، ص٢٩٤.

(٧٨)براتشينا، الموريسكيون الاسبان، ص١٠١.

(٧٩)الكتاني، الوجود الاسلامي في الممالك النصرانية، ص١٥٥.

(٨٠)حومد، محنة العرب، ص٢٦٦-٢٦٧.

(٨١)الكتاني، الوجود الاسلامي في الممالك النصرانية، ص١٥٥.

(٨٢)الموريسكيون الاسبان، ص١٠١.

(٨٣)حومد، محنة العرب، ص٢٦٧.

(٨٤)الكتاني، الوجود الاسلامي، في الممالك النصرانية، ص١٥٦.

(٨٥)براتشينا، الموريسكيون الاسبان، ص١٠١-١٠٢.

(٨٦)الكتاني، الوجود الاسلامي في الممالك النصرانية، ص١٥٦.

(٨٧)حومد، محنة العرب، ص٢٠٨-٢١٣.

(٨٨) المسلمون واليهود في مملكة فالنسيا، ص٧٥.

(89) The muslims, of , valensia, P.33

(٩٠)هارفي، المدجنون، ص٢٨٦–٢٨٩.

(٩١)المرجع نفسه، ص٢٨٦–٢٨٧.

(92)Meyerson, The muslims of Va lencia, P.33.

(٩٣)هارفي، ليونارد باتريك، تاريخ الموريسكيين السياسي والاجتماعي والثقافي، ترجمة عبدالواحد لؤلؤة، بحث ضمن كتاب الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس، تحرير سلمى خضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، ١٩٩٨،ج ١،ص٣١٩.

(٩٤)برامون، المسلمون واليهود في مملكة فالنسيا، ص٦٧

(٩٥)هارفي، تاريخ الموريسيكين، ص٣٢٣.

(٩٦)مؤلف مجهول، نبذه العصر في اخبار ملوك بني نصر، تحقيق الفريد البستاني، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢ ، ص٤٤.

(97) Meyerson, The muslims of Va lencia, P34;

سحر السيد عبدالعزيز سالم، علاقة مصر المملوكية بغرناطة قبيل وعقب سقوطها، بحث مقدم في اعمال المؤتمر الخامس للدراسات الموريسكية الاندلسية حول الذكرى الخمسمائة لسقوط غرناطة، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسيكية، تونس ، ١٩٩٣،ج٢،ص١٠١.

(٩٨)هارفي، تاريخ الموريسيكين، ص٣٢٣.

(٩٩)المرجع نفسه، ص٣٢٣.

(١٠٠)برامون، المسلمون واليهود في مملكة فالنسيا، ص٦٧.

(١٠١) هارفي، المدجنون، ص٢٩٥.

(١٠٢)ابن حنبل ، احمد ، مسند الامام احمد بن حنبل، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ج٢، ص٣٩١.

(١٠٣)هارفي المدجنون، ص٢٨٩–٢٠٩.

(١٠٤)احمد بن يحيى بن محمد، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء افريقية والاندلس والمغرب، تحقيق محمد الحجي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٨١، ج٢، ص١٣٨.

(١٠٥)المصدر نفسه، ج٢، ص١٣٧.

(١٠٦)المصدر نفسه، ج٢، ص١٣٧–١٤١.

(107)Torrejon, Leopldo penarroj, cristianos bajoel islam, Madrid, 1993, P.76

(١٠٨)مؤنس، حسين، اسنى المتاجر في بيان احكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد، العدد ١–٢، ١٩٥٧، ص١٤٤–١٤٥.

(١٠٩) الوزان، وصف افريقيا، ج١، ص١٠٣.

(١١٠)الونشريسي، المعيار المعرب، ج٢، ص١١٩.

(١١١) حومد، محنة العرب، ص٢١٠.

(١١٢)الونشريسي، المعيار المعرب، ج٢، ص١١٩.
(١١٣)المصدر نفسه، ج٢، ص١٢٠.
(١١٤)هارفي، المدجنون، ص٢٩٣.
(١١٥) meyerson, the muslims of Va lencia, P.13
(١١٦)المدجنون، ص٢٩٣.
(١١٧)المرجع نفسه، ص ٢٩٣.
(١١٨) هارفي،تاريخ الموريسيكين، ص٣٤٠.
(١١٩) قوة مسلحة أسسها الكاردينال خمينيث الذي اصبح وصياً على عرش قشتاله بعد وفاة الملك فرناندو وكان الهدف من تأسيسها هو خدمة الكنيسة في مواجهة النبلاء الذين أثروا على حساب الطبقات الفقيرة ثم تحولت بعد ذلك الى اداة مطيعة بيد الكنيسة لتحقيق اهدافها في تنصير المسلمين. دومينغيث اورتيث وبرنادر فينسيت، تاريخ الموريسيكين (مأساة اقلية) ترجمة عبدالعال صالح، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ٣٢.
(١٢٠)دومينغيث، تاريخ الموريسيكين، ص٣٢.
(١٢١)هارفي،تاريخ الموريسيكين،ص٣٢٧.؛ كارديك، لوي، الموريسكين والبروستانت، المجلة التاريخية المغربية، العدد (٢٧-٢٨)، تونس، ١٩٨٢، ص٢٨١.
(١٢٢) لونغاس، بدور، حياة الموريسكيون الدينية، ترجمة وتقديم جمال عبدالرحمن، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٠، ص٢٧٥-٢٧٦.
(١٢٣)المرجع نفسه، ص٢٧٥-٢٧٦.
(١٢٤)تاريخ الموريسكيين، ص٣٢٧.
(١٢٥)المرجع نفسه ، ص٣٢٨-٣٢٩.
(126) Harvey leonard patrick, crypto, Islam in sixteenth century spain, Madrid, 1964, PP.170-171
(١٢٧)كارديك، لوي، الموريسكيون الاندلسيون والمسيحيون، تعريب الدكتور عبدالجليل التميمي، منشورات المجلة التاريخية المغربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، تونس، ١٩٨٣، ص١١٠.
(١٢٨)لونغاس، حياة الموريسكيون الدينية، ٤١-٤٢.
(١٢٩)براتشينا، الموريسكيون الاسبان، ص١٤٢-١٤٣.
(١٣٠)تاريخ الموريسكيين، ص٣٢٩.
(١٣١)ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، قم، ١٩٨٤،ج١٥، ص٤٠٤.
(١٣٢) محمد بن جرير، جامع البيان، تحقيق صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٥، ج٣، ص٣١٠.
(١٣٣)سورة النحل، اية١٠٦.
(134) Davilay, Los moriccos, P.162.

(١٣٥)حياة الموريسيكيون الدينية، ص٣٧–٣٨.

(١٣٦) المرجع نفسه، ص٣٧–٣٨.

(١٣٧)هارفي، تاريخ الموريسيكين ، ص٣٣٤.

(١٣٨)المرجع نفسه، ص٣٣٤.

(١٣٩)المرجع نفسه، ص٣٣٤–٣٣٥.

(١٤٠)المرجع نفسه، ص٣٣٥–٣٣٦.

(١٤١)حياة الموريسكيون الدينية، ص٣٤–٣٥.

(١٤٢)تاريخ الموريسكيين، ص١٣٩.

(١٤٣)لونغاس، حياة الموريسكيون الدينية، ص٣٤–٣٥.

(١٤٤)لونغاس، حياة الموريسكيون الدينية ، ص٢٠٣.

(١٤٥)المرجع نفسه، ص١٢٧–١٣٠.

(١٤٦)المرجع نفسه، ص١٢٨.

(١٤٧)المرجع نفسه، ص١٢٩.

(١٤٨)المرجع نفسه، ص٢١٠.

(١٤٩) المرجع نفسه ، ص٢١١.

(150) Lea, Henry Charles, The Moriscos of spain, New York, 1966, P.75–76

(١٥١) هارفي، تاريخ الموريسكيين، ص٣١٨.

(١٥٢) كارديك، الموريسكيون الأندلسيون، ص٣٤.

(١٥٣) دومينغيث، تاريخ الموريسكيين، ص١٣٧.

(١٥٤) لونغاس، حياة الموريسكيون الدينية، ص١٨٦ ومابعدها

(١٥٥) تاريخ الموريسكيين، ص١٣٧.

(١٥٦)تاريخ الموريسكيين، ص١٣٨.

(١٥٧)حياة الموريسكيون الدينية، ص٢٥٨–٢٥٩.

(١٥٨) دومينغيث، تاريخ الموريسكيين، ص١٣٨.

(١٥٩) عبود، انسام غضبان، الموريسكيون في غرناطة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصره، ٢٠٠٠، ص٧٥.

(١٦٠) ابو القاسم احمد بن ابي العباس، الدر المنظم في مولد النبي المعظم، نشر لاجرانجا، مجلة الاندلس، العدد، (٣٤) ، مدريد، ١٩٦٩، ص٢٨.

(١٦١)حتاملة، محمد عبده، الملك شارل الاول، وموقفه من مظالم الموريسكيون ابان زيارته لغرناطة، مجلة دراسات، المجلد التاسع، (العدد الثاني)، الاردن، ١٩٨٣، ص٩٧–٩٨.

(١٦٢)المدجنون، ص٢٩٣.

(١٦٣)فنسنت، برنارد، المواركة واللغة، المجلة العربية للثقافة، العدد (٢٧)، تونس، ١٩٩٤، ص٢١٠.

(١٦٤) وصف افريقيا، ص٣٩.

(١٦٥)كارديلك، الموريسكيون الاندلسيون، ص١١٤.؛ فنسنت، المواركة واللغة، ص٢١٥.

(١٦٦) الحجري، أحمد بن القاسم (أفوقاي)، ناصر الدين على القوم الكافرين، رحلة أفوقاي الأندلسي مختصر رحلة الشهاب الى لقاء الأحباب، تحقيق محمد رزوق، المو سسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٤، ص٣٠.

(١٦٧)انسام، الموريسيكين في غرناطة، ص٦٠.

(١٦٨)تاريخ الموريسكيين ، ص٣٤٥.

(١٦٩)ابو الفضل، محمد احمد، شرق الاندلس في العصر الاسلامي، دار المعرفه الجامعية، الاسكندريه ، ١٩٦٦، ص٢٣٧.

(١٧٠)المرجع نفسه، ص٢٣٨.

(١٧١) نفح الطيب، ج ١، ص٢٢.

(١٧٢)الموريسكيون الاندلسيون، ص١١٤

(١٧٣)انسام، المورسيكيون في غرناطة، ص٦٩.

(١٧٤)برامون، المسلمون واليهود في مملكة فالنسيا، ص١٢٥-١٢٦.

(١٧٥)تاريخ اسبانيا الاسلامية، ترجمة مهند حاتم، بغداد، ٢٠٠٠، ص ٣٤.

(١٧٦)انسام، المورسيكيون في غرناطة، ص٧١.

(١٧٧) المرجع نفسه ، ص٧١.

(١٧٨)كارديلك، المورسيكيون الاندلسيون، ص١١٤.

(١٧٩)تاريخ المورسيكيين ، ص١٣٨.

(١٨٠) حياة المورسيكيون الدينية، ص٢٤٦-٢٤٧.

(١٨١) المرجع نفسه، ص٢٤٧.

(١٨٢)الكسكو، تصنع من عجينة بحجم حبة الكزبرة ثم تطبخ هذه الحبيبات في قدر مثقوب يتقلى بخارا مع قدر اخر في اسفله ويضاف لها السمن بعد نضجها ثم تسقى بالمواد المغلية مع اللحم، ينظر: وصف افريقيا، ج١، ص٢٥٣.

(١٨٣)الوزان، وصف افريقيا، ج١، ص٢٥٣.

(١٨٤)الموريسكيون الأندلسيون ، ص٢٦.

(١٨٥)لونغاس، حياة الموريسكيون الدينية، ص٧١-٧٢.

(١٨٦)نفح الطيب، ج١، ص٢٢٣.

(١٨٧)انسام، الموريسكيون في غرناطة، ص٨٦.

(١٨٨)بول، ستانلي لين، قصة العرب في اسبانيا، ترجمة علي الجارم، القاهرة، ١٩٥٥، ص١٢٩-١٣٠.

(١٨٩)المقري، نفح الطيب، ج٢، ص٤٥٨.

(١٩٠)تاريخ اسبانيا، ص٤٩.

(١٩١)زيغريد، شمس العرب تسطع على الغرب، نقله عن الالمانية فاروق بيضون وكمال دسوقي، دار صارد، بيروت، ١٩٦٤، ص٥٤.

(١٩٢)تاريخ اسبانيا، ص٥١.

(١٩٣)بلباس، توريس، الابنية الاسبانية الاسلامية، مجلة المعهدالمصري للدراسات الاسلامية، العدد الاول، مدريد، ١٩٥٣، ص١١٧.

(١٩٤)دومينغيث، تاريخ الموريسكيين، ص١٥١.

(١٩٥)كاسترو، اميركو، اسبانيا في تاريخها، ترجمة علي ابراهيم منوفي، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٣، ص١٠٣.

(١٩٦)لونغاس، حياة الموريسكيون الدينية، ص٢٦١.

(١٩٧) كارديالك، الموريسكيون الاندلسيون، ص٣٨.

(١٩٨)سانشيز، اكسبيراثيون غاريثا، الزراعة في اسبانيا المسلمة، بحث ضمن كتاب الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس، تحرير سلمى الخضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٨، ج٢، ص١٣٦٧وما بعده.؛ انسام ، الموريسكيون في غرناطة، ص٩٠.

(199) the musulims of Valencia, P.114.

(٢٠٠)اسبانيا في تاريخها، ص٦٨.

(201) meyerson, the musulims of Valencia, P.34.

(202) Op. cit, P.117.

(٢٠٣)توماس، التكنولوجيا الهيدروليه في الاندلس، بحث ضمن كتاب الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس، تحرير سلمى الخضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٨، ج٢، ص١٣٥٥.

(204) Pvovencal, levi, Histoire de Espagne musulmane, paris, 1967, Vo13, P.280.

(205) Miranda, Huici, Historia musulmana de Valencia Y su region, Valencia, 1970, Vol, 1, P.155.

(٢٠٦)ادم، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة عبدالهادي ابو ريدة، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤١، ص٢٨١-٢٨٢.

(٢٠٧)سانشيز، الزراعة في اسبانيا المسلمة، ج٢، ص١٣٦٨.؛ انسام، الموريسكيون في غرناطة، ص٩٣.

(208)meyerson, the musulims of Valencia, P.123.

(209) Op. cit, P.124.

(210) Op. cit, P.124

(211) meyerson, the musulims of Valencia, P.125-126.

(212) Op. cit, P .125-127.

(٢١٣)تاريخ الموريسكيين، ص١٧٣.

(٢١٤) برامون، المسلمون واليهود في مملكة فالنسيا، ص٩٥.

(٢١٥)المرجع نفسه، ص٩٥.

(216) meyerson, the muslims of Valencia, P129

(٢١٧) المسلمون واليهود في مملكة فالنسيا، ص٩٧

(218) piles, ros, Apuntes para la Historia economicosocil de Valencia durante el sigol, Valencia, 1969, P.95

(٢١٩)المسلمون واليهود في مملكة فالنسيا، ص٩٧، ص٩٨-٩٩.

(٢٢٠) برامون، المسلمون واليهود في مملكة فالنسيا ، ص٩٩.

(٢٢١)المرجع نفسه ، ص ٩٩.

(٢٢٢)دومينغيث، تاريخ الموريسكيين، ص١٨١-١٨٢.

(223) meyerson, the muslims of Valencia, P130-133

(224) op. cit, p. 131

(٢٢٥) تاريخ الموريسكيين ، ص ١٧٦.

(226) meyerson, the muslims of Valencia, P.133.

(227) op. cit, p. 133.

(٢٢٨) دومينغيث، تاريخ الموريسكيين ، ص١٧٦.

(229) meyerson, the muslims of Valencia, P.134

(230) op. cit, p. 134

(231) op. cit, p. 134-135.

(٢٣٢)عنان، نهاية الاندلس، ص٤١٣

(٢٣٣)دومينغيث، تاريخ الموريسكيين ، ص٩٦.

(234) the muslims of Valencia, P.141

(235) op. cit, p.135

(236) OP.cit, p.136

(237) OP.cit,P.139

(٢٣٨) تاريخ الموريسكيين، ص١٧٧.

المصادر:

١. ابن الابار، ابوعبدالله محمد بن عبدالله بن ابي بكر القضاعي،(ت٦٥٨هـ/١٢٥٩م)، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عزت العطار الحسيني، القاهرة، ١٩٥٦.

٢. الادريسي، ابوعبد اله محمد بن عبدالله الحمودي، (ت٥٦٠هـ/١١٦٤م)، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، عالم الكتب، بيروت،١٩٨٩.

٣. ابن بلقين، الامير عبدالله بن باديس بن حبوس، (ت٤٨٣هـ/١٠٩٠م)، مذكرات الأمير عبدالله أخر ملوك بني زيري في غرناطة المسماة (التبيان عن الحادثة الكائنه بدولة بني زيري في غرناطة)، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٥.

٤. ابن الاثير، عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم، (ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م)، الكامل في التاريخ، ط٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦.

٥. الحجري ،احمد بن قاسم افوقاي، (ت بعد عام ١٠٥٠هـ/١٦٤٠م)،ناصر الدين على القوم الكافرين، رحلة افوقاي الاندلسي، مختصر رحلة الشهاب الى لقاء الاحباب، تحقيق محمد رزوق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٤.

* الحميري، محمد بن عبدالمنعم، (ت أواخر القرن الثامن الهجري).

٦. صفة جزيرة الاندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق ليفي بروفنسال، القاهرة، ١٩٣٨.

٧. الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق احسان عباس، بيروت، ١٩٥٧.

٨. ابن حنبل ، احمد بن حنبل، (٢٤١هـ/٨٥٥م)، مسند الامام احمد بن حنبل، دار صادر، بيروت، (د.ت).

٩. ابن الخطيب، لسان الدين بن محمد السلماني، (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م)، اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، تاريخ اسبانيا الإسلامية، تحقيق ليفي بروفنسان، مكتبة الثقافية الدينة، القاهرة، ٢٠٠٤.

١٠. ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد الحضرمي، (ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م)، تاريخ ابن خلدون المسمى العبر، ط٣، بيروت، ٢٠٠٦.

١١. ابن ابي دينار، محمد بن ابي القاسم القيرواني، (ت١١١٠هـ/١٦٩٨م)، المؤنس في اخبار افريقية وتونس، ط٣، دار المسيرة، بيروت، ١٩٩٣.

١٢. الزركشي، ابي عبدالله محمد بن ابراهيم، (ت ٨٩٤هـ/١٤٨٨م)، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ١٩٦٦.

١٣. ابن ابي زرع، أبو الحسن علي الفاسي، (ت٧٢٦هـ/١٣٢٥م) الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢.

١٤. ابن الزقاق البلنسي، ابو الحسن علي بن ابراهيم،(ت٥٢٩هـ/١١٣٤م)، ديوان ابن زقاق، تحقيق عفيفة ديراني، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٤.

* ابن سعيد الأندلسي، ابو الحسن علي بن موسى، (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م).

١٥. المغرب في حلى المغرب، وضع حواشيه خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٧٩.

١٦. كتاب الجغرافيا، تحقيق اسماعيل العربي، بيروت، ١٩٩٧.
١٧. ابن عذاري، ابو عبدالله محمد المراكشي، (ت٧١٢هـ/١٣١٢م)، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، القسم الثالث الخاص بالموحدين، نشر امبروسيو هويثي ميرانده، تطوان، ١٩٦٠.
١٨. العذري، ابو العباس احمد بن عمر بن انس، (ت٤٧٨هـ/١٠٨٥م)، نصوص عن الاندلس من كتاب ترصيع الاخبار وتنويع الاثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك، تحقيق عبدالعزيز الاهواني ، مطبعة معهد الدراسات الاسلامية، مدريد، ١٩٦٥.
١٩. العزفي ، ابو القاسم احمد بن ابي العباس، (ت٦٧٦هـ/١٢٨٧م)، الدر المنظم في مولد النبي المعظم، نشر لاجرانجا، مجلة الاندلس، العدد، (٣٤) ، مدريد، ١٩٦٩.
٢٠. الفيروزبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، (ت٧١٨هـ/١٤١٤م)، القاموس المحيط، دار العلم للملايين، بيروت، د.ت، ج٢ .
٢١. ابن القوطية، ابو بكر محمد بن عبدالعزيز، (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م)، تاريخ افتتاح الاندلس، تحقيق عبدالله انيس الطباع، دار النشر للجامعيين، بيروت، ١٩٥٨.
٢٢. المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين، (ت ٣٤٦هـ/٩٥٦م)، التنبيه والاشراف، دار صعب، بيروت، د.ت
٢٣. المقري، شهاب الدين احمد بن محمد التلمساني، (ت١٠٤١هـ/١٦٣١م)، نفح الطيب من غص الاندلس الرطيب، تحقيق احسان عباس، دار صادر بيروت، ٢٠٠٨.
٢٤. مؤلف مجهول، نبذه العصر في اخبار ملوك بني نصر، تحقيق الفريد البستاني، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢.
٢٥. الوزان، الحسن بن محمد الفاسي، (ت٩٦٠هـ/١٠٠٢م)، وصف افريقيا، ط٢، ترجمة عن الفرنسية، محمد حجي ومحمد الاخضر، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٨٣.
٢٦. الونشريسي، احمد بن يحيى بن محمد، (ت٩٦٠هـ/١٠٠٢م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء افريقية والاندلس والمغرب، تحقيق محمد الحجي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٨١.

المراجع:

١. ادم، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة عبدالهادي ابو ريدة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤١.
٢. اشباخ، يوسف، تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٦.
٣. براتشينا، دون باسكوال بوررنات ،الموريسيكون الاسبان ووقائع طردهم، ترجمة الدكتورة كنزه الغالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٢.
٤. برامون، دولوروس، المسلمون واليهود في مملكة بلنسية، ترجمة رانيا محمد احمد،، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٤.
٥. بشتاوي، عادل سعيد، الاندلسيون المواركة، القاهرة، ١٩٨٣.

٦. بلباس، توريس، الابنية الاسبانية الاسلامية، مجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية، العدد الاول، مدريد، ١٩٥٣.

٧. بول، ستانلي لين، قصة العرب في اسبانيا، ترجمة علي الجارم، القاهرة، ١٩٥٥.

٨. توماس، التكنولوجيا الهيدروليه في الاندلس، بحث ضمن كتاب الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس، تحرير سلمى الخضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٨.

* حتاملة، محمد عبده.

٩. الاندلس التاريخ والحضارة والمحنة، عمان، ٢٠٠٠.

١٠. التنصير القسري لمسلمي الاندلس في عهد الملكين الكاثوليكيين، الاردن، (د.ت).

١١. محنة العرب عشية سقوط غرناطة وبعدها، مطابع دار الشعب، الاردن، ١٩٧٧.

١٢. حسين، كريم عجيل، الحياة العلمية في بلنسية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٥.

١٣. حومد، اسعد، محنة العرب في الاندلس، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٨.

١٤. دومينغيث اورتيث وبرنادر فينسيت، تاريخ المسلمين المدجنين (ماساة اقلية)، ترجمة عبدالعال صالح، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٧.

١٥. ديوارنت ، ول ، قصة الحضارة، ترجمة الدكتور عبدالحميد يونس، بيروت، تونس، د.ت

١٦. راشيل أريه، تاريخ اسبانيا الاسلامية، ترجمة مهند حاتم، بغداد، ٢٠٠٠.

١٧. الزوبعي، بشرى محمود صالح، محاكم التفتيش الاسبانية، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى مجلس كلية الاداب ، جامعة بغداد، ١٩٩٨.

١٨. سانشيز، اكسبيراثيون غاريثا، الزراعة في اسبانيا المسلمة، بحث ضمن كتاب الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس، تحرير سلمى الخضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٨.

١٩. سحر السيد عبدالعزيز سالم، علاقة مصر المملوكية بغرناطة قبيل وعقب سقوطها، بحث مقدم في اعمال المؤتمر الخامس للدراسات الموريسكية الاندلسية حول الذكرى الخمسمائة لسقوط غرناطة، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسيكية، تونس ، ١٩٩٣.

٢٠. طه، عبد الواحد ذنون، دراسات اندلسية، ط١ ، الموصل، ١٩٨٦.

٢١. عبود، انسام غضبان، المسلمون المدجنون في غرناطة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة البصرة، ٢٠٠٠.

* عنان، محمد عبدالله،

٢٢. عصر المرابطين والموحدين، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٠.

٢٣. نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧.

٢٤. ابو الفضل، محمد احمد، شرق الاندلس في العصر الاسلامي، دار المعرفه الجامعية، الاسكندريه ، ١٩٦٦.

٢٥. فورنال، جاكلين، الصيدلة الموريسكية وممارسة الطب لدى المجموعة المورسيكية بمنطقة ارغون، المجلة التاريخية المغربية العدد (١٥–١٦) ١٩٧٩.

٢٦. كارياك لوي، المسلمون المدجنون الاندلسيون والمسيحيون، تعريب الدكتور عبدالجليل التميمي، منشورات المجلة التاريخية المغربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، تونس، ١٩٨٣.
٢٧. كاسترو، اميركو، اسبانيا في تاريخها، ترجمة علي ابراهيم منوفي، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٣.
٢٨. الكتاني، علي، الوجود الاسلامي في الممالك النصرانية بشبة الجزيرة الايبريه قبل سقوط غرناطة، مجلة التاريخ العربي، العدد السادس، الدرا البيضاء، ١٩٨٨.
٢٩. لونغاس، بدور، حياة المسلمون المدجنون الدينية، ترجمة وتقديم جمال عبدالرحمن، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٠.
٣٠. المدني، احمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا (١٤٩٢-١٧٩٢). ط٢ بيروت ، ١٩٧٩.
٣١. مؤنس، حسين، اسنى المتاجر في بيان احكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد، العدد ١-٢، ١٩٥٧.
٣٢. مؤنس، حسين، رحلة الاندلس، الشركة العربية للطباعة، القاهرة، ١٩٦٣.
٣٣. هارفي، ليونارد باتريك، تاريخ المسلمين المدجنين السياسي والاجتماعي والثقافي، ترجمة عبدالواحد لؤلؤة، بحث ضمن كتاب الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس، تحرير سلمى الخضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، ١٩٩٨.
٣٤. هارفي، ليونارد، المدجنون، بحث ضمن كتاب الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس، تحرير سلمى الخضراء، الجيوسي، مركز دراسات، الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٨.
٣٥. هوبت فارمر، اشهر ملكات التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت).
٣٦. هونغة ، زيغريد، شمس العرب تسطع على الغرب، نقله عن الالمانية فاروق بيضون وكمال دسوقي، دار صارد، بيروت، ١٩٦٤.
٣٧. **المصادر الأجنبية:**

1. Antonio Domigues Ortiz, Bernard Vincent, Historia de los morsicos viday Y Tragedia de unamonoria, Madrid, 1978.
2. Chejne, Anwer, muslim spain (Its History and culture), America, 1974.
3. Cicar, Garcia carcel, Moriscos iAgermanaats, Valencia, 1974.
4. Davilay Collado, Manuel, La expulision de los Moriscos espanole Madrid, 1889.
5. Elliott, J.H, Imperial spain (1469-1716) London, 1960.
6. Janer, Prancisco, condicion social del los Moriscos de Espana,Madrid, 1857.
7. Joan, Regla, Estudios sobre los moriscos, Barcelona, 1974.
8. Kamen,Henry, Histororia de Espana, La frustration dein emperio (1469-1714) Barcelona,1982.

9. Lea, Henry Charles, The moriscos of spain,New York, 1966.

10. Marmol, Carvajl, Historia de la rebellion Ycastigo del Reino de Caranad, Madrid 1797.

11. Meyerson, Mark, The Muslims, of, Valencia In the Age of Fernado and Isabel, University of California, 1990.

12. Miranda, Huici, Historia musulmana de Valencia Y su region,Valencia, 1970.

13. Pascual, Boronat, los moriscas espanoles ysu expulision, Valencia, 1901.

14. Pedor, Longas,Vida Religisona de los moriscos, Madrid, 1915.

15. piles, ros, Apuntes para la Historia economicosocil de Valenci durante el sigol, Valencia, 1969.

16. Poole, stanly lane, The Moorish in spain, with the collaboration of Arthur Gllman M.A.Khagats (Beirat, 1967.

17. Pvovencal, levi, Histoire de Espagne musulmane, paris, 1967.

18. Stephen, Haliczer, Inquisition and society in the king dom of Valencia, (1378-1834), Univeritsy of California, 1990.

19. Terrasse, Henri, Islam DE spane une recontre de Lorient Et De the new Encyclopedia, Aragone, Kingdom, 1974.

20. Torrejon, Leopldo penarroj, cristianos bajoel islam, Madrid, 1993.